بسم الله الرحمن الرحيم

المحاسن النبوية
في
التربية الإنسانية
" دراسة موضوعية "

دكتور
حامد أحمد حماد
مدرس الحديث وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
الإسكندرية - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال له ربه ممتنا عليه { وإنك لعلى خلق عظيم } - القلم : ٤ - وحين سئلت أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت " كان خلقه القرآن " .(١)

والخلق هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب - وحسن الخلق قد يكون منحة وهبة من الله تعالى بحيث يولد الإنسان حسن الخلق كامل العقل كأنبياء الله تعالى فَهُم مشاعل النور فى الكون وإمامهم السراج المنير الذى نَوَّرَ الله تعالى به الكون كله {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين} - المائدة : من الآية ١٥ - فاقتضت حكمة الله تعالى ورحمته ونعمته أن اختار للإنسانية كلها رسالتها السماوية الأخيرة - الإسلام - وجعل لها دستورا خالدا - القرآن - وأن تكون لغتها واحدة تتغير اللغات ولا تتغير وهى العربية .

وعلو منزلة المسلم يوم القيامة لا ينالها إلا بحسن الخلق . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول " إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً " ...(٢)

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٣٦٤/١ باب صفة أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥٥٩/١٠ حديث رقم ٦٠٣٥ كتاب الأدب / باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

وهذه قطرة من بحر هدى سيد البشر فى التربية . وفقنى الله إلى كتابتها وأدعو الله أن يجعلها خالصة لوجهه ويلهمنى بكرمه العمل على بلوغها معكم كى نفوز بسعادة الدارين – إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو نعم المولى ونعْم النصير – .

الدكتـــــور
حامـد أحمـد حمـاد
مدرس الحديث وعلومـــــه
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق فسوى وقدر فهدى . والصلاة والسلام على سيد البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أرسله الله رحمة للعالمين .. وبعد ،

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الصحابى الجليل أبو هريرة عن أحسن الناس خلقا وأكملهم إيمانا : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لأهله " [1] . ويروى الصحابى الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه فيقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من شىء أثقل فى ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيىء " [2] ويروى الصحابى الجليل جابر بن عبد الله رضى الله عنه فيقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من أحبكم وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا يا رسول الله ما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون " [3] لهذا الهدى النبوى النورانى وغيره من الأحاديث الكثيرة يوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المنهج الذى يجب أن تكون عليه الأخلاق .

ويقول الإمام البيضاوى فى كتابه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " عند تفسيره لفاتحة الكتاب عن التربية : " التربية إبلاغ الناشىء إلى الكمال شيئا فشيئا

(١) أخرجه أبو داود ك السنة / باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه عن أبى هريرة ٢١٩/٤ - وأخرجه الترمذى ك الرضاع / باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها ٤٥٧/٣ . وقال : هذا حديث حسن صحيح - وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٠/٢ عن أبى هريرة - وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/١ كتاب الإيمان / باب أول حديث فى الحاكم وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

(٢) أخرجه الترمذى ٣٦٢/٤ ك البر / ما جاء فى حسن الخلق عن أبى الدرداء ٣٦٢/٤ وقال حديث حسن صحيح - وأخرجه أبو داود ٢٥٣/٤-٢٥٤ ك الأدب / ما جاء فى حسن الخلق .

(٣) أخرجه الترمذى ٣٦٠/٤ ك البر / فى معانى الأخلاق عن جابر بن عبد الله - وقال أو عيسى : حديث غريب - وأخرجه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة بتقديم وتأخير - .

- وهذا هو شأن الإسلام فى بنائه للفرد وإعداده إعداداً سليما متكاملاً يصح به جسمه ويسلم عقله ويحسن خلقه ويتهذب وجدانه وتسمو روحه ويرقى ذوقه ويرق حسُّه وتنمو قدرته على العمل ليرقى بأمته " .

تعريف التربية :

لو أردنا تعريف التربية بمفهومها الشامل لقلنا : هى النشاط الذى يصنعه الذين يعيشون ظروف هذه الحياة وتصنعه معهم ظروف حياتهم . وهى أيضا تفاعل بين الظروف والناس فى مكان وزمان وعُدَّة ذلك الفكر والتجربة . والتربية فى الإسلام لها طابعها الخاص ولها سماتها المعينة التى تجعل القلوب والعقول تهفو إليها وتطمئن فى كنفها . وذلك لأنها تتلاءم وطبيعة الإنسانية فى الإنسان ذاته . وهى أساس من أسس الفطرة التى فطر اللهُ الناس عليها . لأنها ترتبط بالدين وليس فيها ما يشذ عنه أو يحمل على الخروج عليه .

منابع التربية فى الإسلام :

تنبع هذه التربية من مصدرين أساسيين لا يتطرق إليهما شك من أى عاقل وهما :

(١) القرآن الكريم { يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم } .

(٢) السنة النبوية المشرفة . وهى المصدر الثانى . وهى أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم الذى قال عنه ربه { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى } .

(٣) ثم ممن إنفعلوا بهذين المصدرين الأساسيين وطبقوا ذلك علما وعملا وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين الذين كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار . فأسسوا دولاً على الحق والعدل ورفعة الخلق وقادوا جيوشا تدافع عن الحق وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

منهج الإسلام فى التربية :

أولاً : تعريف المنهج :

المنهج لغة : هو الطريق الواضح الذى يصل به الإنسان إلى غايته التى يقصدها .[1]

ومعناه العلمى : هو مجموعة من القواعد العلمية المنتظمة من أجل الوصول إلى الحقيقة فى مختلف العلوم .[2]

منهج التربية فى الإسلام : يرتكز أخلاقيا على العقيدة الدينية التى تربط الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى وبقدر ما يتمتع الإنسان به من طاعة لربه ورعاية حرماته فى سلوكه وأسلوب حياته بمقدار ما يكون عليه من الخلق الإنسانى الكريم . لأن الأخلاق ليست إلا ترجمة عملية للعقيدة الإسلامية فى النفس الإنسانية ولقد بدأت مناهج التربية الإنسانية فى الإسلام بالنظر إلى الإنسان من نواح أساسية عامة وهى :

أولا : أن الله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بعقل يفكر به فيما ينفعه وما يضره وأعطاه حرية الإختيار فإذا أحسن فلنفسه وإن أساء فعليها { إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا } [3] - { وهديناه النجدين } [4] - { من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها } .[5]

---

(١) مختار الصحاح والقاموس المحيط .
(٢) ابن حزم وابن تيمية فى كتابه " نقد المنطق " ولقد سبق هذا العالمان وغيرهما مفكرى الغرب فى القرن السابع عشر أمثال " ديكارت " فى كتابه " مقال فى المنهج " - ١٦٣٧م - و" فرنسيس بيكون " - ١٢٩٧/٢/٤م - من أن الاستقراء هو الطريق الوحيدة الموصلة لليقين .
(٣) سورة الدهر : ٣ .
(٤) سورة البلد : ١٠ .
(٥) سورة فصلت : ٤٦ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " [1] - يقول أبو هريرة رضى الله عنه راوى الحديث : واقرأوا إن شئتم {فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله } .

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى زوده بالسمع والبصر وحاسة الشعور . وهذه كلها أدوات تعين العقل فيما يختاره وينفذه { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون } النمل الآية ٧٨ .

ثالثاً : أن الله كرم الإنسان وسخر له الكون كله لخدمته { ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً } [2] . وعلى الإنسان بعد إكرام الله سبحانه وتعالى له أن يحمده ويشكره ويعمل ويحسن العمل ويكون وفيا . والله سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفة فى الأرض يعمرها بذريته ويستخرج كنوزها بعمله ويفيد ويستفيد من خيرها شريطة أن يسير فى مناكبها ويسعى ليأكل من رزق الله { وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة } - البقرة من الآية ٣٠ - والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على الخلقة السوية السليمة - وهى - الفطرة - وإنما التغيير الذى يطرأ يأتى من خارجه - فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه - يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل إنسان تلده أمه على الفطرة وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم " [3] وأبواه يثقفانه لينفع نفسه ومجتمعه ويصلح به الكون المحيط به -

(١) أخرجه البخارى ٢٨١/٣ ك الجنائز / باب إذا أسلم الصبى هل يصلى عليه وهل يعرض عليه الإسلام وأخرجه مسلم ١٥٧/٦ ك القدر / باب كل مولود يولد على الفطرة عن أبى هريرة

(٢) الإسراء : الآية ٧٠ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨١/٣ ك الجنائز / باب إذا أسلم الصبى - ونحوه - وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٥٧/٦ / ك القدر / باب كل مولود يولد على الفطرة - وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٢٠٣/٦ ك النقطة / باب الولد يتبع أبويه .

أو يهملانه مما يجعله عاجزا عن السير السليم وبذلك يصبح معرضا للإنحراف عن الصراط المستقيم . وجعل الله سبحانه فى الفطرة وفى نفسه الإستقامة السوية المطمئنة التى ترتاح للخير كله وتنفر من الشر وتلومه إذا استجاب لدوافع الشر أو استجاب لوساوس الشيطان أو ضعف أمام الشهوات { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا } – فاطر من الآية ٦ – .

الفرق بين التربية والتعليم :

التربية هى تعهد الشيء والإعتناء به .

ولو نظرنا إلى المراد بها تبعا لما جاء به القرآن الكريم وسنة أشرف الخلق وأكرمهم صلى الله عليه وسلم وأسلوب تربيته لصحابته وأبناء صحابته والأمة كلها من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها نجدها تربط وتوحد بين الداخل والخارج وبين الظاهر والباطن فهى عملية ذات وجهين : من جهة عملية بناء وتنمية . ومن الجهة الأخرى عملية وقاية وإصلاح .[١]

ولو دققنا النظر بين مفهوم التربية وبين التعليم نجد أن الفرق واضح بينهما . فالتربية هى : التحول وإحداث الأثر والتغيير فى الشخص الذى نربيه . والتعليم هو : كشف وبيان للتربية . فهو إذن تحول وإنفعال . فالتربية إذن تشمل البدن والعقل والروح والقلب . فهى عملية صياغة جديدة للإنسان .

والعلم : جزء من التربية ومن أساسياتها . والعلم لا قيمة له إذا فقد الإنسان التربية . والعلم يعتبر كمالاً أو شرط كمال للتربية . ولذلك حينما نقرأ قول الله تعالى {الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان }[٢] نجد أن الله سبحانه وتعالى

(١) نحو تربية مؤمنة للدكتور / محمد فاضل الجمالى .
(٢) سورة الرحمن من الآية : ١ – ٤ .

قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان فى هذه الآيات وكأن التعليم النافع الذى يرفع مستوى البشرية كلها من القاع إلى القمة – وهو دستور الله إلى الناس جميعا مقدم على عملية خلق الإنسان – لأن الإنسان بدون ذلك يصبح أقل شأنا من الحيوان { إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون } .[1]

ولذلك يقول بعض المفكرين : لأن تخرج ابنك نصف عالم وذا خلق خير من أن تخرج إماما فى العلم لا خلاق له . ولذلك نرى النور المحمدى فى قول سيد الخلق صلى الله عليه وسلم " ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن " [2] يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشاً وكان يقول : " خياركم أحاسنكم أخلاقا " [3] .

وصدق الله العظيم " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم " .. الخ الآية [4] .

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

كما أن الخلق الذميم السيىء قد ينحط بصاحبه إلى الكفر – والعياذ بالله – وذلك بأن يستحل فعل شيء منهى عنه شرعاً – أو أنكر أمراً معلوما من الدين

(١) سورة الأنفال : الآية : ٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذى ٣٣٨/٤ كتاب البر ما جاء فى أدب الولد عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده وقال : هذا حديث غريب – وأخرجه أحمد فى مسنده ٤١٢/٣ عن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥٥٩/١٠ ك الأدب / باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل عن عبد الله بن عمر .

(٤) سورة آل عمران من الآية : ١٦٤ .

بالضرورة أو اعتقد عكسه ولذا أوجب الإسلام الحدود الشرعية لأجل القضاء على الجرائم الخبيثة التي تنهك الإنسان وقيمه وأخلاقه . وذلك حماية للمجتمع من التدهور والإنحلال . كما أنه كلما كانت العقوبة رادعة وزاجرة . كما قررها الإسلام . كلما قلت الجرائم في المجتمع { يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى } - البقرة من الاية ١٧٨ - ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة " [١] . والإسلام بقوانينه فيما أحله وفيما حرمه إنما يأخذ بيد الإنسانية كلها إلى الأخلاق العالية الكريمة .

حماية الإسلام للإنسان :

إن الإسلام قد أظل الإنسان بظل حمايته ورعايته حتى قبل إختيار أبيه لأمه . ولذلك دعا وحث على إختيار الزوجة المسلمة الصالحة التقية النقية التي تورث أبناءها هذا الدين - ولتحفظ على زوجها عرضه وماله وولده . ولأن الزوجة سكن الزوج وحرث له . وشريكة حياته وربة بيته وأم أولاده ومأوى فؤاده وموضع سره ونجواه وهي أهم ركن من أركان الأسرة إذ هي المنجبة للأولاد وعنها يرثون كثيرا من المزايا والصفات وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل وتتربى ملكاته ويتلقى لغته ويكتسب كثيرا من تقاليده وعاداته ويتعرف دينه ويتعود السلوك الإجتماعي . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك "[٢] ، " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة "[٣] ،

---

(١) أخرجه مسلم ٣١٦/٤ ك القسامة / إثبات القصاص عن ابن مسعود ، ٢٤٧/١٢ ك الديات / باب قوله تعالى { أن النفس بالنفس ... الآية - وأخرجه أبو داود كتاب الحدود / الحكم فيمن ارتد ١٢٤/٤ - وأخرجه الترمذي ٤٩/٤ ك الحدود / ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه .

(٢) أخرجه البخاري ١٦٣/٩-١٦٤ ك النكاح / الأكفاء في الدين عن أبي هريرة - وأخرجه مسلم ٤١/٤ ك الرضاع / استحباب نكاح ذات الدين - وأخرجه أبو داود ٢٢٦/٢ كتاب النكاح / ما يأمر به من تزويج ذات الدين .

(٣) أخرجه مسلم ٤٤/٤ ك الرضاع / الوصية بالنساء عن عبد الله بن عمرو - وأخرجه ابن ماجه ٥٩٦/١ ك النكاح باب أفضل النساء .

" إياكم وخضراء الدمن " قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : " المرأة الحسناء فى المنبت السوء " [1] .

وأظل الإسلام الإنسان أيضا بظل حمايته ورعايته فنظر نظرة فاحصة خبيرة إلى عوامل الوراثة وأثرها على الطفل صحة ومرضا - وحسن خلق وسوء خلق - وذكاء أو غيره - منذ أربعة عشر قرنا فقال صلى الله عليه وسلم " تخيروا لنطفكم " [2] ، قال صلى الله عليه وسلم " تزوجوا فى الحجر الصالح فإن العرق دساس " [3] .

مثال على الحرص فى اختيار ذات الدين :

ومما يروى من حرص الصالحين على ابتغاء ذات الدين مهما تكن عاطلا من حيلة الحسب والنسب والمال والجمال . ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى إيثاره إبنة بائعة اللبن زوجة لإبنه عاصم . وقد كان رضى الله عنه يتمنى أن تكون زوجة له لو كانت به حاجة إلى زواج . وذلك ما رواه ابن الجوزى فى تأريخه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول :

روى زيد بن أسلم عن جده " أسلم " قال : بينما كنت مع عمر بن الخطاب وهو يعس [4] بالمدينة إذا هو قد أعيا فاتكأ على جنب جدار فى جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه : قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء . فقالت لها إبنتها :

---

(١) أورده ابن حجر فى تلخيص الجبير ١٤٥/٣ - ورواه الدارقطنى . وقال تفرد به الواقدى وهو ضعيف - وسلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ١٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه ٦٣٣/١ ك النكاح / الأكفاء عن عائشة - وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٣٣/٧ ك النكاح / الكفاءة .

(٣) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٧٢/٧ فى ترجمة الوليد بن محمد الموقرى وقال وكل أحاديثه غير محفوظة والصواب : " تزوجوا فى الحى الصالح فإن العرق دساس " ورواه الدارقطنى وقال : تفرد به الواقدى وهو ضعيف .

(٤) تقول العرب : عس فلان عساً : طاف الليل يكشف عن أهل الريبة / لسان العرب مادة "عس".

يا أمتاه : أما علمت ما كان من عَزْمَة أمير المؤمنين اليوم ألاَّ يشاب اللبن بالماء . فقالت الأم : قومى إلى اللبن فأمذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر . فقالت البنت لأمها : والله ما كنت لأطيعه علانية وأعصيه سراً !!! وكان أمير المؤمنين يسمع الحوار فالتفت إلىَّ يقول : يا أسلم : ضع على هذا الباب علامة !!! ثم مضى أمير المؤمنين فى عَسَّه . فلما أصبح نادانى : يا أسلم : امض إلى البيت الذى وضعت عليه العلامة فانظر من القائلة ومن المقول لها ؟ انظر هل لهما من رجل ؟

يقول أسلم : فمضيت فأتيت الموضع فإذا إبنة لا زوج لها وهى تقيم مع أمها وليس معهما رجل . فرجعت إلى أمير المؤمنين عمر فأخبرته الخبر . فدعا إليه أولاده فجمعهم حوله ثم قال لهم : هل منكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه ؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى الزواج بهذه المرأة التى أعرف نبأها والتى أحب لأحدكم أن يتزوجها . فقال عاصم : يا أبتاه تعلم أن ليس لى زوجة فأنا أحق بزواجها . فبعث من يخطبها لابنه عاصم فزوجه بها فولدت له بنتا تزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له خامس الخلفاء الراشدين الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .[1]

أثر الوراثة واهتمام الإسلام به :

إن أول ما يسترعى انتباه المسلم فى هذا المقام أن الإسلام يوصى بالاغتراب فى الزواج حرصا على قوة الولد ونجابته . والعرب كانت تمدح الرجل بأن أمه ليست إبنة عم أبيه مثل قولهم :

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب

(١) ابن الجوزى فى تأريخه لعمر بن الخطاب .

ولقد روى ابن الأثير أثراً عن النبى ﷺ " اغتربوا لا تضْوُوْا " [1] - يعنى تزوجوا الغرائب دون القرائب فإن ولد الغريبة أنجب وأقوى بخلاف ولد القريبة فإنه أضعف وأضوى - وهذا مما يدحض حجة أعداء الإسلام من قولهم إن أثر الوراثة من نتاج البحوث العلمية الحديثة . وإنما الصحيح أن المبادرة كانت للإسلام ولرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً . وأن ما وصلت إليه التربية الحديثة ما هو إلا جزء بسيط من تربية الإسلام .

الإسلام وكيف حافظ على الجنين :

ركز الإسلام عنايته بالجنين فى بطن أمه ليخرج إلى الحياة سليما معافى . حتى فى أصعب المواقف وأشدها حرجا . ولننظر كيف أخَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إقامة الحد على المرأة الغامدية حتى تضع حملها بل حتى تفطمه . والحديث عن عمران بن حصين رضى الله عنه : أن إمرأة من جهينة أتت النبى صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا - فقالت : يا نبى الله أصبت حَدًا فأقمه عَلَىَّ . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليَّها وقال له " أحسن إليها فإذا وضعت فأتنى بها " . ففعل الرجل . فأمر بها فشكت عليها ثيابها . ثم أمر بها فرجمت . ثم صلى عليها . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أتصلى عليها يا نبى الله وقد زنت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " لقد تابت توبة لو قُسِّمَتْ بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وَجَدَتْ أفضل من أجادت بنفسها لله تعالى " [2] بل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل رجمها - وبعد اعترافها أخذ المواثيق على أهلها ألاَّ تأخذهم حمية الجاهلية فيقتلوها قبل إقامة الحد عليها .

---

(١) قيل هذا من كلام عمر بن الخطاب - والحديث : " لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاربا " - اتحاف السادة المتقين شرح علوم الدين ٣٤٩/٥ - والمغنى عن حمل الأسفار للعراقى ٤٢/٢ .

(٢) أخرجه مسلم ٣٤٩/٤ ك الحدود / باب من اعترف على نفسه بالزنا عن عمران بن حصين .

أجمع فى رعايته للمولود كان أشد حرصا عليه بعد ولادته . فماذا فعل للمولود ؟

حدد له مدة إرضاعه الرضاعة الطبيعية الكاملة التى يصح بها جسمه {والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة } ... الخ - البقرة من الآية ١٣٣ - وحدد من يقوم بالإنفاق عليه { وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف } .. الخ - البقرة من الآية ١٣٣ - وأمر باختيار أحسن الأسماء له بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم { إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آباءكم فأحسنوا أسماءكم } (١) .

رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأطفال وحبه لهم :

يروى أنس بن مالك - رضى الله عنه - وهو خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢) .

وكان ابنه إبراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة فكان ينطلق ويدخل البيت الذى كان فيه فيأخذه فيقبله ثم يرجع .

وكان يركب الحسن والحسين رضى الله عنهما على ظهره ويمشى على أربع ويقول " نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما " (٣) .

وكان يسجد فيأتى الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجود فيقال له

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/٢٨٩ ك الأدب / باب فى تغيير الأسماء عن أبى الدرداء - وقال أبو داود تعقيباً على الحديث : ابن أبى زكريا لم يدرك أبا الدرداء - وأخرجه أحمد فى مسنده ٥/١٩٤ عن عبد الله بن أبى زكريا عن أبى الدرداء .

(٢) أخرجه مسلم ٥/٤٧٠ ك الفضائل / باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٣/٥٢ عن جابر بن عبد الله وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/١٨٢ وفيه : مسروح أبو شهاب وهو متروك .

يا نبى الله أطلت السجود فيقول صلى الله عليه وسلم " إرتحلنى ابنى فكرهت أن أعجله " [1] .

وأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيا لها فى الموت فقال لمن أرسلته لأبيها صلى الله عليه وسلم : " ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب " فعاد إليه مرة أخرى فقال : إنها قد أقسمت لتأتينها . فذهب النبى صلى الله عليه وسلم إليها ومعه بعض أصحابه فَرُفِعَ إليه الصبى فى حالة النزع . ففاضت عيناه فقال له سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم " هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده إنما يرحم الله من عباده الرحماء " [2] .

تكريم الإسلام للمرأة :

كانت المرأة قبل الإسلام شبه رقيقة إن لم تكن رقيقة بالفعل !!!

لم يكن لها حق يعترف به . وليس لها حق التملك . ولا حق مزاولة أى عمل باسمها . ولا حق اختيار زوجها . بل كانت تُمْلَكْ ولا تَمْلِكْ . تُورَثْ ولا تَرِثْ . وتُكْرَه على الزواج ممن تكْره . وكانت العرب تحتقر النساء وتعدهن من قبيل المتاع والعروض . حتى كان الأقربون يرثون زوجة من يموت منهم كما يرثون ماله .

فحرم الإسلام هذا العمل [يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها " الخ الآية [3] . فجاء الإسلام وكرمها ورفع من شأنها . زوجة وبنتاً وأمًا وأختا . وردَّ إليها كرامتها وأمر بحقوقها . وأنزلها المنزلة اللائقة بها كإنسان له وظيفة كبرى فى الحياة !!!

---

(١) ورد الحديث فى المطالب برقم ٣٩٩٨ ورواه أبو داود وأحمد والترمذى .
(٢) أخرجه البخارى ١٩٤/٣ ك الجنائز / يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه - عن أسامة بن زيد وأخرجه مسلم ٥٢٣/٢ ك الجنائز باب البكاء على الميت عن أسامة بن زيد .
(٣) سورة النساء من الآية : ١٩ .

ويتجلى تكريم الإسلام لها فيما قرره من تشريعات بشأنها :

أولها : مساواة المرأة بالرجل فى الجنس . وأنها مغرس للنوع الإنسانى وأنها بمقتضى هذا التكريم تستحق كل إكبار واحترام { والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة } ... الخ الآية [1] .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنما النساء شقائق الرجال " [2] .

وأكرمها الإسلام بنتاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من ابتلى من البنات بشىء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار " [3] .

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع الضَّيْم عن البنت التى كانت العرب فى جاهليتها تضيق بها مولودة وتئدها حية على ما تشير إليه الآية الكريمة { وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون " - النحل : ٥٨-٥٩ - وليس يخفى على متأمل بصير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى الصلاة و" أمامة بنت زينب " - ابنته - على عاتقه فإذا سجد أخذها فوضعها على الأرض وإذا رفع من سجوده أخذها فوضعها على عاتقه - وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول لأولئك الذين يضيقون بالبنات : إن البنت التى تضيقون بها أتقرب أنا إلى الله بتكريمها وأنا بين يديه فى الصلاة !!!

---

(١) سورة النحل من الآية : ٧٢ .

(٢) رواه أبو داود ١/٦٠ ك الطهارة / الرجل يجد البلة فى منامه عن عائشة وأخرجه الترمذى ١/١٩٠ ك الطهارة / فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما وأخرجه أحمد فى مسنده ٦/٢٥٦ عن عائشة

(٣) رواه البخارى ٣/٣٦١ ك الزكاة / اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة عن عائشة - ورواه مسلم ٦/١٣٦-١٣٧ كتاب البر / فضل الإحسان إلى البنات - وأخرجه الترمذى ٤/٣١٩ ك البر / النفقة على البنات والأخوات - وقال أبو عيسى . هذا حديث حسن

ولقد روى الإمام القرطبى : أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان مُغْتَماً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما لك تكون محزوناً " ؟ فقال الرجل : إنى أذنبت ذنباً فى الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لى وإنى أسلمت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخبرنى عن ذنبك " فقال الرجل : إنى كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لى بنت فتشَفَّعَتْ إلَىَّ امرأتى أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت وصارت من أجمل النساء . فخطبوها فدخلتنى الحمية ولم يحتمل قلبى أن أزوجها . كما لم يحتمل أن أتركها فى البيت بغير زواج . فقلت للمرأة : إنى أريد أن أذهب إلى قبيلة فيها قرابة لى أريد أن أصلها فابعثى البنت معى فَسَرَّها ذلك وزينت إبنتها بالثياب والحلى . ثم أخذت علىَّ المواثيق بألاَّ أخونها فيها . فذهبت بها حتى صادفنا بئراً فنظرت فيه فقطنت البنت وظنت أنى أريد أن ألقيها فيه . فالتزمتنى وجعلت تبكى وهى تقول : يا أبت " أيش " [1] تريد أن تفعل بى فرحمتها . ثم نظرت فى البئر فدخلت علَىَّ الحمية والتزمتنى البنت وجعلت تقول : يا أبت لا تضيع أمانة أمى عندك !!! فجعلت أنظر مرة فى البئر ومرة إلى ابنتى فأرحمها حتى غلبنى الشيطان فأخذتها وألقيتها فى البئر منكوسة وهى تنادى فى البئر : لقد قتلتنى يا أبى !!! فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت من حيث أتيت !!![2]

يقول القرطبى : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى أصحابه معه . ثم قال للرجل : " لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك " [3] .

بل إن الإسلام بتكريمه للإناث اعتبر البنت كالولد نعمة من نعم الله – والحياة

---

(١) " أيشى : أىُ شىء " .
(٢) أحكام القرآن للقرطبى ٩٧/٧ – فى تفسير الآية من سورة النمل رقم ٥٨ – ٥٩ – .
(٣) انظر المصدر السابق .

فى حاجة إليها ولقد بدأ الله بذكر الإناث قبل الذكور فى معرض الحديث عن النسل { لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور} - الشورى من الآية ٤٩ - .

ولقد وعى ديوان الشعر أبياتا لإمرأة حزينة كانت تنجب الإناث فهجرها زوجها فأنشدت تقول :

مَا لأبـــى حَمْزة لا يـــأتـــيـــنـــا يظل فى البـــــيت الذى يلينا

غـــضـــبـــان ألاَّ نلد البنينا تـاللـه مـــــــا ذلك فـى أيـدينـا

وإنما نـأخـــــذ مـــــا أعطينا ونـحـن كـــــالأرض لـزارعـــــينا

ننبت مـــا قـــد زرعـــوه فـــينا

وكأنما تشير المرأة العربية إلى ما أوضحه القرآن الكريم أن ذلك يرجع لعلم الله { الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار } - الرعد الآية ٨ - وقد أكد الطب الحديث مقولة هذه المرأة بأنه لا دخل للمرأة فى تحديد الذكورة أو الأنوثة . وإنما يرجع ذلك إلى بنية الرجل وتكوينه .

ولقد كانت الرغبة فى البنين الذكور - واضحة منذ أقدم العصور وها هى ذى " إمرأة عمران " تهب لله ما فى بطنها فلما جاء المولود أنثى تأسفت وتمنت لو كان ذكراً { إذ قالت إمرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم} - آل عمران الآيتان ٣٥ - ٣٦ - .

رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم للبنات ورفقه بهن :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقاً بالبنات وهو نفسه لم يعش له أولاد ذكور تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها { جاءت إمرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندى غير تمرة واحدة أخذتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته بأمرها فقال " من بُلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ له ستراً من النار " [1] .

والله سبحانه وتعالى جعل الأنثى مساوية للذكر فى الجزاء وحملها مسئوليتها وحدها فقال سبحانه { من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحْيِينَّهُ حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون } - النحل - ٩٧ - .

وأعطى الإسلام للمرأة حق الإجارة مثل الرجل - فقد استجار رجل " بأم هانيء " - وأراد على بن أبى طالب قتله فسبقته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم " قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء " وشاركت المرأة فى النشاط الروحى فكانت تحضر العيد وصلاة الجماعة والجمعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا تمنعوا إماء الله مساجد الله } [2] .

وشاركت المرأة فى الحياة الإجتماعية تدفع الزكاة وتؤدى الصدقة وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدافع عن حقوقها . فقد أراد عمر بن الخطاب - خليفة المسلمين أن يحدد المهور فقامت امرأة وقرأت عليه { وآتيتم إحداهن قنطاراً } [3] فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

---

(١) أخرجه البخارى ٣٦١/٣ الزكاة / اتقوا النار ولو بشق تمرة عن عائشة - وأخرجه مسلم ١٣٦/٦ - ١٣٧ ك البر / فضل الإحسان إلى البنات - وأخرجه الترمذى ٣١٩/٤ ك البر / النفقة على البنات والأخوات .

(٢) أخرجه البخارى ٤٨٥/٢ ك الجمعة / باب رقم ١٣ عن ابن عمر وأخرجه مسلم ١٢٠/٢ ك الصلاة / خروج النساء إلى المساجد عن ابن عمر - وأخرجه أبو داود ١٥٢/١ ك الصلاة / ما جاء فى خروج النساء إلى المساجد عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٣) سورة النساء من الآية ٢٠ .

ساوى الإسلام بين المرأة والرجل فى كل شىء إلا ما يخالف فطرتها وطبيعتها فأعطاها من الرخص ما يتناسب مع طبيعتها . والإسلام لم يخرج على قاعدة المساواة بين الذكر والأنثى إلا فى موضعين :

أولها : الميراث : فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين - لأن الذكر مسئول عن رعاية زوجته وأولاده وصلة رحمه ومتطلبات الحياة الإجتماعية كلها . بينما الأنثى مسئولة من وليها وليست مطالبة بمسئوليات إجتماعية !!!

ثانيها : الشهادة : يقول الله تعالى { واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى } - البقرة من الآية ٢٨٢ - لأن المرأة بطبيعتها تنسى . وأيضا ما يعتريها جسديا من تغيرات طبيعية تشغلها من حيض وحمل وولادة ورضاع .

الإسلام يحيط الطفل بما يريحه نفسيا بعيدا عن العقد النفسية :

لقد هيأ الإسلام للطفل الجو المحيط لما يريحه نفسيا ليتربى فى محيط الأسرة السمح مُحِبًا لها متفتحا للحياة بعيدا عن العقد النفسية بحيث يعيش طفولته بمرحها وفرحها وانطلاقها وبراءتها . وذلك ليزيل وحشته ويجدد نشاطه ويدخل السرور عليه حتى إذا شب عن الطوق كان على المنهج السليم الكامل ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما نحل والد ولدا نحلا أفضل من أدب حسن "[1] .

وشرع الإسلام ممارسة الأطفال الألعاب الرياضية مثل المصارعة والسباحة وركوب الخيل والرماية فضلا عما فى عبادات الإسلام من رياضة منظمة فى غير إجهاد أو إرهاق . فنجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ على نفر من قبيلة

---

(١) سبق تخريجه فى الفرق بين التربية والتعليم .

أسلم ينتضلون بالسوق فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : " ارموا بنى اسماعيل فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان " فأمسك أحد الفريقين بأيديهم - وهذا من أدبهم ورقة مشاعرهم - فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم متسائلاً : " مالكم لا ترمون ؟ " .

فقالوا : كيف نرمى وأنت معهم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " اموا فأنا معكم كلكم " (١) .

وروى عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إرموا واركبوا وأن ترموا خير من أن تركبوا " . وقال صلى الله عليه وسلم : " كل شيىء يلهو به ابن آدم فهو باطل إلا ثلاثا : رميه عن قوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق " (٢) .

وروت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته - فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى . فقال : " هذه بتلك " (٣) .

وروى محمد بن على بن ركانة : أن ركانة - وكان رجلا مصارعا قويا لا يُهْزَمَ أبدا - صارع النبى صلى الله عليه وسلم وصرعه النبى صلى الله عليه وسلم (٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينا الحبشة يلعبون عند النبى صلى الله

---

(١) أخرجه البخارى ١١٣/٦ عن سلمة بن الأكوع حديث رقم ٢٨٩٩ ثم ذكر الحديث بلفظه .
(٢) أخرجه أبو داود ١٣/٣ ك الجهاد / فى الرمى عن عقبة بن عامر - وأخرجه ابن ماجه ٩٤٠/٢ ك الجهاد / الرمى فى سبيل الله عن عقبة بن عامر - والحديث رقم (٢) و(٣) .
(٣) حديث واحد بروايات مختلفة ورواه البخارى فى صحيحه ١١٣/٦ عن سلمة بن الأكوع حديث رقم ٢٨٩٩ .
(٤) رواه الترمذى ٢٤٧/٤ ك اللباس / العمائم على القلانسى عن أبى جعفر بن ركانه عن أبيه - وقال أبو عيسى : حديث حسن - وأخرجه أبو داود ٥٤/٤ كتاب اللباس / باب فى العمائم .

عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها فقال النبى صلى الله عليه وسلم " دعهم يا عمر " وكان ذلك فى المسجد . ولعبت الحبشة كذلك لمَّا قدم صلى الله عليه وسلم - المدينة بحرابهم ابتهاجاً بقدومه وفرحاً به .

ومن إحاطته به عقليا ليصبح إنسانا سليم التفكير قادرا على النظر والتأمل يستطيع أن يحكم على الأشياء حكماً أساسه الصدق والعدل ويمكنه أن يفهم البيئة المحيطة به كما يمكنه أيضا أن يستفيد من تجاربه وتجارب الآخرين فزوده خالقه بالسمع والبصر والعقل وهى الأدوات التى يكتسب بها الإنسان كل معلوماته وهى المنافذ التى يُطلُّ منها على كون الله الفسيح ليعرف أسراره ويدرك شئونه وينتفع بما أودع الله فيه من البركات .

{ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون } النحل ٧٨ ولذلك نجد أن من لم ينتفع بهذه النعم التى زوده الله بها من سمع وبصر وعقل قد إنسلخ من إنسانيته وانتظم فى عداد الحيوانات بل أضل .

{ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } الأعراف ١٧٩ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما " [1] وقال صلى الله عليه وسلم " لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هَلَكتِه فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلِّمها " [2] .

---

(١) أخرجه الترمذى ٥٥٦١/٤ك الزهد / ما جاء فى هوان الدنيا على الله عز وجل عن عبد الله بن ضمرة وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن وأخرجه ابن ماجه ١٣٧٧/٢ ك الزهد / مثل الدنيا عن عبد الله بن ضمرة السلولى .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢١٩/١ ك العلم / الإغتباط فى العلم والحكمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . وأخرجه مسلم فى صحيحه ٤٢١/٢ ك الصلاة / فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

والعالم والجاهل لا يستويان لا فى المنزلة عند الله . ولا فى الوجاهة عند الناس . ولا فى فهم قيمة الحياة { قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون } الزمر من الآية ٩ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " نَضَّر الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها . ثم أداها كما سمعها فرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع " (١) .

ومن إحاطة الإسلام بالإنسان خُلُقِيًا : ليكون جياش العواطف كبير القلب يتبسط للخير ويفرح به ويحرص عليه وينقبض عن الشر ويضيق به ويفر منه – وهذا هو جوهر الإيمان – يقول الله سبحانه عن الإنسان وأن إرادته ليست مفطورة على الخير المحض ولا على الشر المحض {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} – الإنسان ٣ – والإنسان مسئول بعد ذلك عن تهذيب نفسه وإصلاحها { ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } – الشمس ٧ – ١٠ – وإصلاح النفس خلقيا يتمثل فى التخلص من الهوى وكبت الشهوة والإرتفاع عن المادة والسمو عن النقائص الخُلُقية . لأن الهوى داعية الشر والفساد وصَادٌّ عن الحق والخير وصارف عن الهوى والرشاد – والتخلص منه يحتاج إلى مجاهدة شاقة وصبر ومصابرة فإن طريق الوصول إلى الكمال ليس مفروشاً بالورود والرياحين ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " حُفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " (٢) .

وفطام النفس عن شهواتها يحتاج إلى مراقبة دائمة وخوف من الله ويقظة من

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢١/٣ ك العلم / فضل نشر العلم عن زيد بن ثابت – والترمذى ١٣/٥ ك العلم / ما جاء فى الحث على تبليغ السماع – وابن ماجه ٨٤/١ ك المقدمة باب من بلغ علما عن زيد بن ثابت والحديث رقم ٢٣٠ .

(٢) صحيح مسلم ١٦٥/١٧ ك الجنة ونعيمها عن أنس وأبو داود ٢٣٧/٤ ك الجنة / فى خلق الجنة والنار عن أبى هريرة والترمذى ١٩٨/٤ ك صفة الجنة / ما جاء حفت الجنة ... .

الضمير وحينما ننظر إلى ما جاء فى القرآن الكريم عن خلق المثل الأعلى للمسلمين جميعا بل للبشرية كلها وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن الله تعالى أبرز أعظم الصفات لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال له { وإنك لعلى خلق عظيم } – القلم٤ – ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [١] وهناك صلة وثيقة بين جمال الخلق وصلاح المجتمع وأيضا لها الأثر الكبير فى ميدان التعاون البشرى . ومكارم الأخلاق دائرة واسعة تتسع لأكرم الصفات وأنبلها . وأيضا فالقدوة الطيبة لها المكان الأول – وما تنجح رسالة أو مجتمع كبيرا كان أو صغيرا إلا بالأسوة الحسنة . ولذلك نجد أن المعلم الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الأسوة والقدوة والمثل الحسن . { لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا } – الأحزاب ٢١ – ويروى الصحابى الجليل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول صلى الله عليه وسلم : " خياركم أحسنكم أخلاقا " [٢] .

ويروى أنس بن مالك رضى الله عنه فيقول " خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لى : أفٍّ قط ولا قال : لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا ؟ " [٣] .

بل إن الأَمَةَ لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت . وكان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذى ينزع يده ولا

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠/١٩٢ ك الشهادات / بيان مكارم الأخلاق عن أبى هريرة – والبخارى فى الأدب المفرد – والحاكم فى المستدرك .

(٢) سبق تخريجه ص .

(٣) أخرجه مسلم ٥/٤٦٥ ك الفضائل / جوده وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود ٤/٢٤٧ ك الأدب / فى الحلم وأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم .

يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم يُرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما ركبتيه بين يدى جليس له " [1] .

والإسلام قد اهتم باختيار الأصدقاء الذين يعينون على الخير ويرشدون إليه ويحرص على ذلك أشد الحرص . إذ الإنسان يفيد بمعاشرة الأصدقاء كثيرا مما هو فى حاجة إليه من جميل الخصال وتهذيب السلوك وصقل النفس .. ولذلك يدعو لمصادقة الأخيار ومجانبة الأشرار يقول الله تعالى { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً } الكهف ٢٨ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل "[2] ويقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أبو موسى الأشعرى : " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة " [3] . وأوصى علقمة ابنه فقال : " يا بنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة . فاصحب من إذا خدمته صانك . وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤونة أعانك . اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سترها . اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكتَّ عنه ابتداك . وإن نزلت بك نازلة واساك . اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولت أمرا أمرك . وإن تنازعتما آثرك .

---

(١) أخرجه البخارى ١٠/٦٠٠ ك الأدب / باب الكبر عن أنس حديث رقم ٦٠٧٢ .
(٢) الترمذى ٤/٥٨٩ ك الزهد / باب رقم ٤٥ عن أبى هريرة وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) أخرجه البخارى ٤/٤٠٦ ك البيوع / باب فى العطار وبيع المسك عن أبى موسى - وأخرجه مسلم ٦/١٣٦ ك البر / باب استحباب طلاقة الوجه والشفاعة فيما ليس بحرام عن أبى موسى - وأخرجه أبو داود ٤/٢٦٠ ك الأدب / باب من يؤمر أن يجالس .

والبيئة أيضا لها دور فى صياغة الإنسان فى قالبها وتطبعه بطابعها . فكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . ولذلك اهتم الإسلام على أن تكون البيئة التى ينشأ فيها الفرد بيئة تقية نقية تتحقق فيها الفضائل ويحترم فيها المعروف وتتناول فيها الآداب على أنها أوضاع مقررة وعُرْف عام يحترمه الجميع ويحافظون عليه .

مثال ذلك :

دعت إمرأة والياً لها فقالت له : تعال أعطك تمرة . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل ستعطيه التمرة كما قالت أم أنها تذكر ذلك ليحضر إليها ؟ فأجابت : إنها ستعطيه التمرة وأنها صادقة فى قولها . ثم سألت : أيُعَدُّ ذلك كذبا لو لم تُعْطِه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " نعم إن الله يكتب الكِذْبة والكُذَيبة " [1] .

ومن إحاطة الإسلام بالإنسان علميا :

أن الإسلام لا يكتفى بالإرشاد إلى أسباب العلم ووضع المنهج للوصول إلى الحقائق ولكنه يدفع الإنسان دفعاً إلى تحصيل العلم واكتسابه والاستزادة منه يقول الله سبحانه وتعالى : { وقل رب زدنى علماً } طه : ١١٤ ونجد أن أول ما نزل من الوحى هو { اقرأ باسم ربك الذى خلق " سورة العلق : ١ - وفعل الأمر " اقرأ " دعوة إلى الوسيلة الأولى للمعرفة وهى القراءة بكل أبعادها وفى كل ميادينها من علم نظرى وعلم تجريبى . والأمر هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يلفت النظر إلى كنوز يجب أن نحفظها ونحافظ عليه وهى :

(١) الاعتماد على النفس " اقرأ " .

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ٥٩٤/٢ ك الأدب / باب فى التشديد فى الكذب عن عبد الله بن عامر - وأورده المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب ٥٩٨/٣ كتاب الأدب / باب ويل للذى يتحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب عن عبد الله بن عامر ط مصطفى الحلبى .

(٢) بذل الجهد قدر الاستطاعة من الشخص "اقرأ" لتصل إلى العلم والخير .

والأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى " اقرأ " ليكون قدوة طيبة لأصحابه ومَنْ بعدهم يتخذون علمه منهجاً وأسلوباً وهدفاً يُوَرِّثه كلٌ إلى مَنْ بَعْدَهُ لينتشر العلم ويزدهر والقدوة الحسنة دائما من أهم وسائل التربية الإسلامية .

(٣) بل إن الأمر فى " اقرأ " إلزام لولى الأمر ليهيىء لمن تحت ولايته ما يجعله يقرأ ، ثم إذا كانت القراءة " باسم ربك " تبركا وعملا وإيمانا وحياة ومعاشا ومعادا فسوف تذلل الصعاب وتثبت الحقائق وتزداد من " اقرأ " لأنها الربط ما بين اللسان والجوارح وصلة ما بين ما للدنيا وما للدين . ولذلك اقترن العلم بالإيمان فى " اقرأ باسم ربك " .

(٤) واقتران التعليم فى "اقرأ " بالخَلْق : اشارة إلى أن الإنسان خلق ليتعلم وإذا كان على الله الخَلْق . فإن على الإنسان السعى والعمل والإجتهاد .

(٥) والإشارة فى قوله تعالى " علم بالقلم " وهو أداة الكتابة والتدوين والتأليف والترجمة وما يقوم مقامه الآن من آلات حاسبة وكاتبة ومطبعة وغيرها من أدوات حفظ العلم ونشره .

والعلم هو ميراث النبوة .. يروى أبو الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من سلك طريقا يطلب فيه علما سَهَّل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع . وإن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم تورث درهما ولا دينارا ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بخط وافر " [1] .

---

(١) الترمذى ٤٨/٥ – ٤٩ ك العلم / ما جاء فى فضل الفقه على العبادة عن أبى الدرداء – وأخرجه ابن ماجه ٨١/١ ك المقدمة / فضل العلماء والحث على طلب العلم عن أبى الدرداء – وأخرجه أبو داود ٣١٦/٣ ك العلم / الحث على طلب العلم عن أبى الدرداء .

والساعى فى تحصيل العلم واكتسابه مجاهد فى سبيل الله . فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خرج ليطلب بابا من العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع " (١) .

والعلماء الذين يحملون الخير للناس يستحقون كل إكبار وإجلال وينالهم من عناية الله وبركاته ما لا يخطر على قلب بشر . فقد روى أبو أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " (٢) .

والإسلام حينما ينوه بالعلم ويرفع من شأنه ويدفع أهله إليه إنما يميز به بين الحق والباطل والخير والشر والصواب والخطأ والهدى والضلال والحسن والقبيح والنافع والضار فهو للعقل كالنور للعين لا يستغنى عنه بحال من الأحوال .

وإذا قرأنا القرآن الكريم نجد أن كلمة " عِلْم " نكرة ومعرفة قد ذكرت ثمانين مرة - كما يذكر " المعجم المفهرس " لألفاظ القرآن الكريم - أما مشتقاتها : علم ويَعْلَم ويعلمون - وعِلْم ويعلم وعليم - وعلماء وعَلاَّم .. الخ فقد ذكرت مئات ومئات المرات .

ولو بحثنا فى " الجامع الصحيح المسند لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " وهو " صحيح البخارى " للإمام " محمد بن اسماعيل البخارى " - نجده بعد أن افتتحه بأحاديث بدء الوحى - ثم كتاب الإيمان - نجد - كتاب العلم - وقد اشتمل هذا الكتاب كما يقول الإمام " ابن حجر " شارح كتاب الإمام

---

(١) أخرجه الترمذى ٥/٢٩ ك العلم / فضل طلب العلم حديث رقم ٢٦٤٧ عن أنس بن مالك وقال : هذا حديث حسن .

(٢) أخرجه الترمذى ٥/٥٠ حديث رقم ٢٦٨٥ كتاب العلم / باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة عن أبى أمامة الباهلى .

البخارى فى " فتح البارى شرح أحاديث صحيح البخارى " أن الأحاديث المرفوعة فى هذا الكتاب مائة حديث وحديثان منها ستة عشر حديثا مكررا . وفيه من الآثار الموقوفة على الصحابة ومَنْ بَعْدَهم إثنان وعشرون أثرا . وأيضا فى صحيح مسلم والسنن الأربعة وموطأ مالك نجد كتابا أو أبوابا للعلم تقصر أو تطول وفى غيرها من الكتب الكثير والكثير من الأحاديث التى لها صلة بالعلم .

القيم الأخلاقية التى يفرضها العلم على أهله :

إن العلم فى نظر الإسلام ليس حشوا للرؤوس بالمعلومات مهما تكن قيمتها وجلالة قدرها وموضوعها . بل لابد لصاحب العلم من الالتزام بالقيم الخلقية التى يفرضها العلم على أهله والتى جعلتهم أهلا لأن يكونوا خلفاء الأنبياء . ومن أبرزها :

(١) الشعور بالمسئولية أمام الله . فالعلماء ورثة الأنبياء . ولا رتبة أعلى من رتبة النبوة ولا درجة أعظم من درجة الوارثين لهذه الرتبة .

فقد روى الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن علمه : ماذا عمل به " (١) .

(٢) الأمانة العلمية : ومن أهمها وأبرزها وبركتها أن يسند القول إلى قائله . وأن يقف عندما يعلم وأن يقول لما لا يعلم : لا أعلم . فليس فى العلم خجل ولا كبرياء وأن يتقبل الحقيقة العلمية ولو ممن هو أقل منه علماً أو أصغر سناً أو أدنى منزلة .

ومما روى فى ذلك حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه : أن رجلا قال :

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٦١٢/٤ حديث رقم ٢٤١٧ كتاب صفة القيامة / باب فى القيامة . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه الطبرانى فى المعجم والبزار .

يا رسول الله أى البلدان أحب إلى الله وأى البلدان أبغض إلى الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " لا أدرى حتى أسأل جبريل عليه السلام " فأتاه جبريل فأخبره : " إن أحب البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق " [1] .

(٣) التواضع : لأن العالم الحق لا يركبه الغرور لأنه يعلم بيقين أن العلم بحر لا شطآن له وصدق الله حين قال : { وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً } - الإسراء من الآية : ٨٥ - .

مثال لتواضع العلماء :

روى أبو عمر بن عبد البر فى كتابه " جامع بيان العلم وفضله " أن عبد الرحمن بن القاسم - قال للإمام مالك بن أنس صاحب " الموطأ " : ما أعلم أحدا أعلم بالبيوع من أهل مصر . فقا ل له مالك : وبم ذلك ؟ قال : بك أنت . قال له الإمام مالك : فأنا لا أعرف البيوع فكيف يعرفونها بى ؟!!! [2]

وهذا هو موقف العلماء : تواضع لله وانصاف من النفس وتقدير لموقف الآخرين والتماس الأعذار لهم :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم " [3] وهذا ينطبق على من يقول ذلك إعجابا بنفسه وتيها وغرورا بعلمه أو عبادته وتقليله من شأن الآخرين .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢/٣٠٠ كتاب المساجد / باب فضل المساجد عن أبى هريرة حديث رقم ٢٢٨ . ولفظ مسلم " أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها - وأورده العجلونى فى كشف الخفاء ١/٤٦٨ .

(٢) جامع بيان العلم ١/١٥٩ .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه ك البر والصلة / باب النهى عن قول هلك الناس ١٦/١٧٥ بشرح النووى - والبخارى فى الأدب المفرد .

(٤) العزة : وهى من أهم الفضائل وأخصها للمؤمنين { ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين } – المنافقون : ٨ – والعزة هنا غير الغرور أو الكبر والعجب بالنفس وهى هنا لا تنافى التواضع ، فهى عزة بالعلم والإيمان وليست عزة بالإثم والعدوان ، عزة تطلب من الله ولا تطلب من الناس عزة فى مواجهة المستكبرين أو المتعالين بالثروة أو القوة أو المفاخرين بالنسب أو المكاثرين بالعدد ولقد روى " ابن عبد البر " فى كتابه " جامع بيان العلم " أن " الحجاج بن يوسف الثقفى " سأل " خالد بن صفوان : من سيد البصرة ؟ فقال له : الحسن البصرى . فقال : كيف وهو مَوْلى ؟ يقصد بذلك أن الحسن البصرى ليس من قبائل العرب ذوى الحسب والنسب . فقال له خالد بن صفوان : احتاج الناس إليه فى دينهم واستغنى عن الناس فى دنياهم . وما رأيت أحدا من أشراف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول فى حلقته إليه يستمع قوله ويكتب علمه !!! فقال الحجاج : هذا والله السؤدد !!! (١)

وفى الحديث الطويل الذى رواه أبو كبشة الأنمارى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا . فهذا بأفضل المنازل – وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء – وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علما : يخبط فى ماله بغير علم ولا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل – وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء " (٢) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/٧٤ – ٧٥ .

(٢) أخرجه الترمذى ٤/٥٦٢ – ٥٦٣ ك الزهد / ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر حديث رقم ٢٣٢٥ عن أبى كبشة الأنمارى وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح – وأخرجه أحمد فى مسنده ٤/٢٣١ عن أبى كبشة الأنمارى رضى الله عنه .

(٥) الحرص على نشر العلم : وتبليغه لينتفع الناس جميعا به فلا خير فى علم يكتم . لأن العلم جُعل لينتشر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض أصحابه على تبليغ كل ما يسمعونه منه ويكتبونه أيضا لينتفع مَنْ بعدهم زمانا ومَنْ وراءهم مكانا .

فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عنى ولو آية " [١] - وروى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع " [٢] .

وكان الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه يقول : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة . ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو : { إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم } - البقرة ١٥٩ - ١٦٠ - .

تنظيم الإسلام لحياة الإنسان اليومية :

(١) الزمن :

إن الزمن هو الوعاء الذى تتخلق فى لحظاته حقائق الأشياء . فكل موجود فى هذه الحياة يحمل بصمة الزمن على جزء من جزئياته . والإسلام يعطينا الدليل على

---

(١) سبق تخريجه بمعناه مطولا ص ١٢ .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ٣٢١/٣ حديث رقم ٣٦٦٠ ك العلم / فضل نشر العلم عن زيد بن ثابت وأخرجه الترمذى ١٣/٥ حديث ٢٦٥٨ ك العلم / ما جاء فى الحث على تبليغ السماع - وابن ماجه ٨٤/١ حديث رقم ٢٣٠ كتاب المقدمة باب من بلغ علما عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

مكان الإنسان من الزمن { يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج } - البقرة : ١٨٩ - فهى للمواقيت . وقد كان من تقدير الله سبحانه وتعالى أن ربط العبادات كلها بالزمن - من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها - وجعل لكل جزء من أجزاء النهار أو الليل عبادة . كما فى الصلوات الخمس كل يوم وليلة . وهكذا يظل المسلم فى مراقبة دائمة للزمان والمكان فى عبادته وفى عمله . وإن غفل عن عمله فلن يغفل عن عبادته { فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون } الروم : ١٧ - ١٨ - { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا } - النساء : ١٠٣ - .

والإسلام حين دعا إلى المحافظة على الوقت إنما يريد أن يقول للناس جميعا إن الوقت هو الحياة وما ينبغى للإنسان أن يفرط فى شىء منه . فإن التفريط فى جزء منه إنما هو تفريط فى الحياة نفسها { وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً } - الفرقان : ٦٢ - أى أن الليل يأتى بعد النهار والنهار يأتى بعد الليل ويخلف كل منهما الآخر - وإنما جعلهما كذلك ليكونا مجالا للشكر والذكر وهما الجناحان اللذان يطير بهما الإنسان إلى الله عز وجل وإن الذين يضيعون أوقاتهم فى اللهو واللعب والعبث إنما يضيعون رأس مالهم الذى لا عوض له فيأتون يوم القيامة وهم نادمون { يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن } [١] فالآية تقرر أن الذى يأتى يوم القيامة وقد كان مفرطا فى وقته مضيعا لعمره يظهر تفريطه وندمه حينئذ والمفرط والمقصر فى حق وقته تحضره الحسرة والندامة وإن كان قد أحسن وانتهى أمره إلى الجنة . لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لن يتحسر أهل الجنة على شىء إلا على ساعة مرّت عليهم فى غير ذكر الله عز وجل " وحينما قال أحد المفكرين الغربيين [٢] : " إن للإنسان ولكل شىء أبعاداً أربعة وهى

---

(١) التغابن : ٩ .

(٢) د / الكسس كاريل فى كتابه " الإنسان ذلك المجهول " .

طول وعرض وعمق وزمن " وظن الناس أنه باضافته هذا البعد الرابع وهو " الزمن " قد أتى بالجديد . لكن القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً قد قال ذلك وجعل الله سبحانه وتعالى الزمن فى مواجهة الإنسان كائناً ذا وجود يحس به . ولذلك أقسم الله سبحانه بكل جزء من أجزائه . بالليل والضحى والفجر وإلى غير ذلك { والفجر وليال عشر } { والضحى والليل إذا سجى } ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " [1] فلا يعرف الإنسان قيمة الوقت ولا قيمة الصحة إلا بعد فقدهما .

وإن الله سبحانه وتعالى سوف يسألنا عن أعمارنا ويجب أن نقدر هذه المسئولية الكبرى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه " [2] .

ومع احترام الإسلام وتقديره للزمن نجد أن معظم الناس ينسون ذلك بل ويمتهنوه وإن آفة ما تعانيه بعض الأمم والشعوب من تخلف عملى وعقلى ونفسى إنما يرجع ذلك فى المقام الأول إلى ما بينهم وبين الزمن من فجوة واسعة وكم يضيع الإنسان من عمره مع أن أيامه محدودة . والليل والنهار جعلهما الله سبحانه وتعالى لسعى الإنسان وراحته فهما نعمتان جليلتان { ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون } - القصص : ٧٣ - ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم

(١) أخرجه البخارى ١١/٢٧٥ ك الرقاق / ما جاء فى الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة عن ابن عباس - والترمذى ٤/٥٥٠ ك الزهد / الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس عن ابن عباس وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه الترمذى فى سننه ٤/٦١٢ حديث رقم ٢٤١٧ ك صفة القيامة / باب فى القيامة وقال : هذا حديث حسن صحيح - ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافراً ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيـــا "[1] .

وعمر الإنسان الشقى لا قيمة له ولا يساوى عند الله شيئا { ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم } - يونس : ٤٥ - .

فلنحذر من الوقت فإنه محسوب علينا . وقد أعطى الله الفرصة للعاملين وغيرهم { يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدَّق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون } - المنافقون : ٩ - ١١ - .

(٢) العمل :

من الشباب الآن مجموعة ترفض العمل وربما اعتمدت على ثروة وقعت فى أيديهم فاستغنوا عن العمل ترفعا واحتقارا له . فَجَرَّهُم الشباب والمال والفراغ إلى الإنحراف . ولقد كان نبى الله داود عليه السلام على ما آتاه الله من ملك عريض يأكل من كسب يده ويصنع الدروع . ونجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يـــده "[2] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١ / ٣٠٠ - ٣٠١ ك الإيمان / فى صفة الريح التى تكون قرب القيامة تقبض من فى قلبه شىء من الإيمان عن أبى هريرة ورواه الترمذى فى سننه ٤/٤٨٧ حديث رقم ٢١٩٥ ك الفتن / ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم عن أبى هريرة . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخارى ٤/٣٨٠ ك البيوع / باب كسب الرجل وعمله بيده حديث رقم ٢٠٧٢ - وأخرجه أحمد فى مسنده ٤/١٣١ - ١٣٢ عن المقدام رضى الله عنه .

والعمل الصالح هو الثمرة الطيبة للإيمان ولذا اقترن به فى كثير من الآيات يقول الله سبحانه وتعالى { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا } – الكهف : ٣٠ – والإيمان دائما نجده فى القرآن مقرونا بالعمل . فلا يذكر الإيمان إلا ويذكر العمل معه والإشارة إلى العمل الصالح لأن الدنيا تعمر به وتطيب الحياة ويسعد البشر وكل ما على الأرض من مظاهر العمارة والحضارة والتقدم العلمى . وهو التعبير الصادق عن قيمة العمل وأثره فى الحياة . وهو التوضيح الناطق بحكمة الله فى اصطفاء الإنسان وتفضيله على غيره بالخلافة فى الأرض فهو دائما بين أمل وعمل وشرط الإستخلاف هو العمل بمقتضى التكريم .

والإيمان الأجوف لا يقبله الله أبدا . ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وإن قوما خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا . ولو أحسنوا الظن لأخلصوا العمل " [1] .

منزلة العمل :

والعمل يعدل الجهاد فى سبيل الله . وقد قدمه الله سبحانه وتعالى فى الذكر {وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله } – المزمل من الآية ٢٠ – .

ولقد رأى صحابة رسول الله صلى عليه وسلم شابا جلدا يخرج للعمل مبكرا فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٢٨٩/٦ فى ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن محبر – وقال ابن عدى : وله من البواطل غير ما ذكرت . أ هـ . وهناك بمعناه عن البر عند أحمد فى مسنده رواه أبو ثعلبة الخشنى ١٩٤/٤ ، عن وابصة ٢٢٨/٤ .

عليه وسلم موضحا ومبينا ومجيبا على تساؤلهم : " لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليعينهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان " (١) .

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى على أصحاب المهن فيقول صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف " (٢) - أى الذى له حرفة يتكسب منها - ويمسك يد العامل الخشنة ويقول صلى الله عليه وسلم : " هذه يد يحبها الله ورسوله " (٣) .

ومن حق كل إنسان أن يكسب رزقه مما أحله الله له من طيبات الرزق . لا فرق بين إنسان وإنسان فى هذا الحق . والله سبحانه وتعالى خلق الخلق ولم يجعلهم سواسية فى تقسيم النعم . بل فضل بعضهم على بعض فى الرزق . والإسلام لا يقول بالمساواة فى الرزق نفسه . وإنما يقول بها فى فرص الجَدّ والسعى فى كسب الرزق وهذا هو أساس النظام الإقتصادى فى الإسلام تُفتح فيه أبواب السعى والجد لكل واحد من أفراد المجتمع على أن يكون التراحم والتعاطف والتعاون فى سلوكهم .

---

(١) رواه البخارى بمعناه ك النفقات / باب فضل النفقة على الأهل ٤٠٧/٩ ومسلم فى صحيحه بمعناه ك الزهور / باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين ١١٢/١٨ والترمذى وابن ماجه وأحمد فى مسنده .

(٢) رواه الطبرانى فى معجمه والبيهقى فى الشعب وأورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٤٩/٦ تفسير سورة الملك فى قوله تعالى { هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ... الخ } وعزاه إلى الطبرانى وابن عدى والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر وأخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٣٧٨/١ فى ترجمة أشعث بن سعيد وقال ابن عدى تعقيبا على هذا الحديث : " وسعيد على ضعفه يكتب حديثه " .

(٣) أخرجه بمعناه البخارى فى صحيحه ك البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده ٣٨٠/٤ حديث رقم ٢٠٧٢ وأحمد فى مسنده ١٣١/٤ عن المقدام .

ويريد الإسلام أن يقيم الفرد والجماعة على قسطاس مستقيم . ويجمع بينهما على أساس من العدل الكامل . والحياة كلها فى أعماقها وما فيها من كَدٍّ وعمل واجتهاد وتعاون نجد أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده ويغلق بابه ويعتزل الناس ويقطع ما بينه وبينهم من أسباب . لأن الإنسان مدنى بطبعه يعطى ويأخذ ويطلب ويُعِين . ويطلب المساعدة إذا احتاج إليها للتغلب على مشكلات العيش ويزيل العقبات التى تعترضه .

ولذلك إذا حرث احتاج إلى اليد التى تساعده على الحرث والبذر وتعهد النبات بالرعاية ومن يشتريها - وإن كان مع البائع والمشترى . وإن تاجر احتاج إلى من يبيعه السلعة ومن يشتريها - وإن كان صانعا احتاج إلى من يدير له الآلة ومن يستهلك إنتاجه . وأى إنسان مهما كان عريق النسب - أو كثير المال - أو كان له شأن فى بيئته فهو أخ لمن دونه نسبا وأقل منه مالاً - يهتم بأمره ويُعْنى بشأنه ويدافع عنه ويمد له يد المساعدة إن احتاج إليها - وأن يعطى من ذات يده . وأن يعين الصانع - أو يصنع لأخرق .

روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه كان معتكفاً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلَّمَ عليه ثم جلس . فقال ابن عباس " يا فلان أراك مكتئبا حزينا " قال : نعم يا ابن عم رسول الله . لفلان عَلَىَّ حق ولاء . وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه !!! قال ابن عباس " أفلا أكلمه فيك " ؟ قال : إن أحببت . قال : فانتقل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ - يريد أنه كان معتكفا - قال ابن عباس " لا ولكنى سمعت صاحب هذا القبر " صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب - ودمعت عيناه وهو يقول " من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف

يومـا ابتـغـاء وجـه الله تعـالى جـعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنـادق أبعـد مـا بين الخافقين (١) " (٢) .

ويقـول الرسـول صلى الله عليـه وسلم " مـثل المؤمنين فى توادهم وتراحـمـهم وتعـاطفـهم مـثل الجسد إذا اشـتكى منه عضـو تداعى له سـائر الجسـد بالسـهر والحـمى " (٣) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الصحابى أبو ذر الغفارى رضـى الله عنه حين سأل رسـول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمـال أفضل . وفى هذا الحـديث قـول رسـول اللـه صلى الله عليـه وسلم " ... تُعين صـانعـا أو تصنع لأخرق " (٤) .

والإسلام حين يدعو إلى العمل ويحث عليه فإنه فى الوقت نفسه يكره البطالة ويمقت من يعيشون عالة على الناس . لأن البطالة والكسل والتواكل كلها عوامل هدم تؤدى إلى إذلال أصحابها .

ولقد ضرب لنا القرآن مثلا عن شعب أدَّى كسله وتواكله وبطالته إلى أن أصبح ذليـلاً واعتـدِى عليـه ولم يسـتطع رد العـدوان رغم إمكاناته الهائلة وطاقاته البشـرية وكنوزه المخبـوءة فى الأرض حـتى أرسل الله له من أنقـذه وأيقظه من سبـاته وفـجـر الطاقـات الكامنة فـيـه . وهو شـعب " مـا بين السـدين " الذى بعث الله تعـالى له " ذا القرنين " فحوله إلى خلية نحل واستطاع أن يقيم لهم سَدًا حال بينهم وبين عدوهم

(١) الخافقان : أفق المشرق والمغرب – لسان العرب مادة " خفق " .
(٢) رواه الشيخان بمعناه عن النعمان بن البشير .
(٣) رواه البخارى فى صحيحه ٥٣٧/١٠ ك الأدب / رحمة الناس والبهائم عن النعمان بن البشير – ومسلم ١٠٨/٦ ك البر / تراحم المؤمنين وتعاطفهم عن النعمان .
(٤) البـخـارى ١٨٥/٥ ك العـتق / أى الرقـاب أفـضل عن أبى ذر – ومـسلم ٢٥٥/١ ك الإيمان / الإيمان بالله تعالى أفضل الرقاب عن أبى ذر وأخرجه أحمد فى مسنده ١٠٥/٥ عن أبى ذر رضى الله عنه .

بفضل الحركة والعمل يقول الله تعالى { ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً } الخ ... الآيات [1] . والأرض فيها متسع للجميع { هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور } [2] - { ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون } [3] .

ولقد أثنى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل كان يلتزم المسجد ويكثر الصلاة والذكر . وهنا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ " قالوا : كلنا يا رسول الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلكم خير منه " [4] .

ولذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : " لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة " .

الإسلام وأثر البيئة واحترام التجربة فى العمل :

يقول الله سبحانه وتعالى : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير } - الحجرات : ١٣ - والتعارف - يتبعه تآلف والتآلف بين الشعوب والقبائل . هو الأساس فى المجتمع الصغير فى البيت - والمجتمع الكبير فى الأمة - والمجتمع الأكبر فى الوطن ثم المجتمع الإنسانى كله والجماعة بدأت منذ بداية خلق الله للإنسان بآدم وحواء { فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين } - البقرة : ٣١ - ثم

---

(١) الكهف من الآية ٩٢ - ٩٨ .
(٢) الملك : ١٥ .
(٣) الأعراف : ١٠ .
(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه ٣٢٨/٢ كتاب الجهاد باب جامع الشهادات عن أبى قلابة . ط دار الكتب العلمية .

تشعبت هذه الجماعة إلى جماعات تفرقت فى الأرض . وبدأت العوامل البيئية المعينة لكل جماعة فى أى بيئة تتحكم فيها وأيضا عوامل وراثية معينة فاختلف اللون واختلف اللسان واختلف الاتجاه ولكن الأصل مجتمع واحد .

ولذلك من العلماء من يرى أن أثر الوراثة هو العامل الأكبر فى تكوين النفس الإنسانية ويتجاوز أثرها التكوين الجسمى والعقلى إلى التكوين الخلقى . ومنهم " بيرسون " الذى يقول : إن الناس يرثون عن آبائهم المشاعر والحالات النفسية كما يرثون الطول واللون والشكل " . ومن العلماء من له رأى آخر فيرى أن للبيئة الأثر الأكبر فى التكوين ومن هؤلاء " هنرى جورج " فيقول : إن العوامل الوراثية التى يبالغ الناس الآن فى أهميتها لا قيمة لأثرها إذا قورن بأثر العوامل البيئية التى تؤثر فى الإنسان " وكلا الرأيين ينطوى على المبالغة ولا ترتاح إليه النفس . لكن البيئة والوراثة لهما تأثير لا يتجاوزه . فضعاف الجسم أكثر الصفات أثرا بالوراثة وتليها صفات العقل من ذكاء وغيره وقدرة علمية أو أدبية [1] .

وإذا نظرنا إلى ما قاله الإسلام من أثر البيئة نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إياكم وخضراء الدمن " قيل : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : " المرأة الحسناء فى المنبت السوء " [2] ويقول صلى الله عليه وسلم موضحا أثر الوراثة " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " [3] – وورد فى الأثر " اغتربوا لا تضووا " [4] .

---

(١) التربية الإسلامية – دراسة مقارنة د/ محمد أحمد جاد .

(٢) أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب ٩٦/٢ حديث رقم ٩٥٧ باب إياكم وخضراء الدمن عن أبى سعيد الخدرى " ط مؤسسة الرسالة " وقال الشيخ الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٤/١ حديث رقم ١٤ ضعيف جدا .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه ٦٣/١ حديث رقم ١٩٦٨ كتاب النكاح باب الأكفاء عن عائشة رضى الله عنها . وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٣٢/٧ .

(٤) قيل هذا من كلام عمر بن الخطاب – والحديث هو " لا تنكحوا القرابة فر الولد يخلق ضاويا " اتحاف السادة المتقين شرح علوم الدين ٣٤٩/٥ والمغنى عن حمل الأسفار للعراقى ٤٢/٢ .

حقوق البيئة الطبيعية فى الإسلام :

إن القرآن الكريم قد وردت فيه آيات كثيرة تشير إلى الأرض وما فيها من ثروات طبيعية ومناظر جميلة وبخاصة ما فيها من أنهار وبحار وأودية وجبال وزروع ناضرة وحدائق ذات بهجة وحيوانات تجمع بين النفع والجمال . وأيضا فإنها توقظ فى وجدان المسلم خاصة والإنسان عامة الإحساس بجمال الطبيعة فهى تدعوه إلى اعتبار هذا الجمال من أعظم نعم الله على الإنسان . وأول شىء يجب على الإنسان إزاء هذه النعم أن يشكر المنعم بها . وذلك بالمحافظة عليها وعدم تعريضها للتخريب والفساد . ولذلك فإن إهلاك الحرث والنسل يُعدُّه القرآن الكريم من أقبح صور الفساد – وشكر نعمة الله فى الزروع والثمار يتخذ فى القرآن الكريم صورة عملية جميلة هى إتاحة المسلم الذى يملكها لمن لا يملكها حق المشاركة معه بنصيب من خيراتها والاستمتاع بطيباتها يقول الله سبحانه وتعالى " وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " – الأنعام : ١٤١ – ولننظر كيف دعا الإسلام المسلم إلى بذل كل الجهد حتى فى أشد حالات الحرج إلى العمل وبذل أقصى الجهد ليجعل الأرض جميلة خضراء .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها " (١) .

بل يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسلم أن يجعل زروعه وثماره متاحة ليست للإنسان فحسب بل وللحيوانات والطيور كذلك بشرط عدم الإضرار يقول

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٢٩٢/٦ فى ترجمة " محمد بن مسلمة بن الوليد – أبو جعفر الواسطى – عن أنس . وقال ابن عدى : ولمحمد بن مسلمة غير ما ذكرت من الحديث وهو آخر من روى بالعراق عن يزيد بن هارون .

صلى الله عليه وسلم : " لا يغرس مسلم غرسا فيأكل كل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة " (١) .

أما حقوق الحيوان على الإنسان فنجد أمثلة رائعة لا توجد إلا فى الإسلام وحده .

مثال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له " قال الصحابة : " وإن لنا فى البهائم أجرا يا رسول الله ؟ " فقال : " فى كل كبد رطبة أجر " (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم " دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض " (٣) .

وروى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأينا حُمَّرَةً (طائر مثل العصفور " معها فرخان فأخذناهما .

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٥/٤ ك المساقاة / فضل الغرس والزرع عن جابر بن عبد الله بنحوه - وأخرجه أحمد فى مسنده ١٩٢/٣ عن أنس بن مالك وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٣٧/٦ - ١٣٨ .

(٢) البخارى ١٤٣/٥ ك المظالم / فى الآبار على الطريق إذا لم يتأذ بها عن أبى هريرة - ومسلم ٤٠١/٥ - ٤٠٢ ك السلام / فضل سقى البهائم المحترمة وإطعامها عن أبى هريرة - وأبو داود ٢٣/٣ - ٢٤ ك الجهاد / ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم عن أبى هريرة .

(٣) مسلم ١٣٣/٦ ك البر / تحريم تعذيب الهرة ونحوها عن أبى هريرة - والبخارى ٥٢/٥ ك المساقاة / فضل سقى الماء عن عبد الله بن عمر وأحمد ٣١٧/٢ عن أبى هريرة .

فجاءت الحمرة تعرش - ترفرف - فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من فجع هذه بولدها ؟ رُدُّوا ولدها إليها " (١) .

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على العناية بالحيوان وبكل ذى حياة يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : " نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم " (٢) . -

ولقد مَرَّ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بفتيان من قريش وقد نصبوا طيرا واتخذوه غرضا - أى هدفا يتعلمون عليه الرمى بالسهام - فقال إن النبى صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا " (٣) .

وهل هناك رحمة بالحيوان أكثر مما هى فى الإسلام فيأمر المسلم بإطعامه وسقيه ومعالجته إذا مرض ويعتنى به كل العناية وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .

الإسلام واحترام العلم التجريبى :

إن الإسلام يحترم فى العلم التجريبى منطق الملاحظة والتجربة ويخضع فى نتائجه لما تأتى به الملاحظة والتجربة .

ومما يزيد وجوه المسلمين بياضا واعتزازا بدينهم وبسيد الخلق جميعا أول المسلمين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أربعة عشر قرنا قد سبق إلى إقرار مبدأ التجربة فى الأمور الدنيوية الفنية مثل

---

(١) أبو داود ٣/٥٥ ك الجهاد / فى كراهية حرق العدو بالنار عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه - وأحمد فى مسنده ١/٤٠٤ عن عبد الله بن مسعود .

(٢) أبو داود ٣/٢٦ ك الجهاد / فى التحريش بين البهائم عن ابن عباس - والترمذى ٤/٢١٠ ك الجهاد / ما جاء فى كراهية التحريش بين البهائم عن عبد الله بن عباس .

(٣) مسلم ٥/٩٤ ك الصيد / النهى عن صيد صغير البهائم عن عمر بن الخطاب - والترمذى ٤/٧٢ ك الأطعمة / فى كراهية أكل المصعورة . وقال : حديث حسن صحيح .

أمور الزراعة والصناعة والطب وما شاكلها فما أثبتت التجربة نفعه فى هذا فهو مطلوب شرعا وما أثبتت ضرره فهو مرفوض شرعا .

وأوضح مثال لهذا المبدأ هو موقفه صلى الله عليه وسلم من قضية تأبير النخل حيث رأى أصحابه من الأنصار يفعلون ذلك ولم يكن له بذلك عهد . حيث نشأ بمكة وهى واد غير ذى زرع فقال لهم كلمة من باب الظن والتخمين يشير بها إلى أن هذا العمل لا ضرورة له . وفهم الأنصار منها أنها من أمر الوحى والدين الذى لا يجوز مخالفته . فتركوا التأبير فى ذلك الموسم فخرج التمر رديئا . فلما علم ذلك عليه الصلاة والسلام بين لهم أن كلمته لم تكن من باب الوحى الإلهى بل من باب المشورة الدنيوية حسب ظنه الناشىء عن خبراته البيئية المحدودة ثم قال لهم : " أنتم أعلم بأمر دنياكم " (١) .

وفى صحيح مسلم من حديث رافع بن خديج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر " (٢) .

وفى حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : " أنتم أعلم بأمر دنياكم " فعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العلم التجريبى أن القانون الذى يجب الخضوع له هنا : هو القانون الذى تنتجه الخبرة والممارسة أو المشاهدة والتجربة .

---

(١) مسلم ١٨٣٦/٤ ك الفضائل / وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا - عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٢) مسلم فى صحيحه ١٨٣٥/٤ ك الفضائل / باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا حديث رقم ١٤٠ عن الصحابى رافع بن خديج رضى الله عنه .

ويكفى العقل الإنسانى فى هذه الأمور هاديا ودليلا - أما الوحى الإلهى فحسبه أن يضع للناس القيم والمبادىء والضوابط - ثم يدع البشر يتصرفون تبعا لما يعلمون " أنتم أعلم بأمر دنياكم " .

وإذا كان علماء الأصول فى تراثنا الإسلامى قد ميزوا فى السنة النبوية المطهرة ما بين " السنة التشريعية " - والتى تتعلق بتبليغ الرسالة والفتيا فى الدين - بيانا للغامض وتفصيلا للمجمل . وما بين " السنة غير التشريعية " - التى تتعلق بالمتغيرات الدنيوية - سياسة واجتماعا واقتصادا وحربا ... الخ فحكموا بإلزام الأولى إلزام إتباع للمنطوق والمفهوم ... ووقفوا من الثانية عند حدود المقاصد والغايات التى تحقق المصالح المتغيرة حتى ولو غايرت أفعالنا المأثور من الأفعال فى هذه السنة غير التشريعية . فإن فى هذا التمييز ما يشهد على تمييز الإسلام بين ما هو " دين ثابت " وما هو " متغير من شئون الدولة والدنيا " [1] .

الترويح عن النفس بعد عناء العمل :

إن البِشْر والفكاهة وطلاقة الوجه من طبيعة النفوس الزكية ما دام لا يوجد داع لعبوس الوجه . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول عنه الخليفة الرابع وابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه " دائم البشر سهل الخلق وكان أكثر الناس إبتساما فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وربما ضحك حتى تبدوا نواجذه " - أى مقدمة ضروسه - وقد جاء فى كتاب " أخلاق النبى " [2] أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أضحك الناس وأطيبهم نفسا . وبعض الصحابة

---

(١) الغزو الفكرى وهم أم حقيقة - للدكتور / محمد عمارة ص ١٠٥ .
(٢) د / أحمد الحوفى - ص ٢٨ .

وصفه بأنه يبتسم . وبعضهم بأنه كان يضحك بملء فيه حتى تبدو نواجذه لكنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جرى به الضحك واستمر كان يضع يده على فيه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : " روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت " (١) – وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح مع أصحابه ولكن لا يقول إلا حقا . ويستعمل التورية فى كلامه مثل قوله لإمرأة عجوز سألته أن يدعو لها بالجنة فقال لها صلى الله عليه وسلم : " لا تدخل الجنة عجوز " (٢) – ففزعت واغتمت ولكنه أدركها فقال لها صلى الله عليه وسلم : " ألم تقرئى قوله تعالى { فجعلناهن أبكارا } – الواقع : ٣٦ – أى أن النساء يحولهن الله فى الجنة إلى شابات فزال عنها غمها (رواه الترمذى فى الشمائل ص ٢٤ والبغوى فى شرح السنة ١٣/١٨٣ ، والحديث ضعيف) . وروى أن امرأة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمازحها وقال لها : " الحقى بزوجك فإن فى عينيه بياضاً " ففزعت وقامت سريعاً للبيت متلهفة فسألها زوجها ماذا ؟ قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن فى عينيك بياضا . فقال : وماذا فى هذا حتى تفزعى ؟ نعم فى عينى وعينيك وعيون الناس جميعا بياض وسواد لا لمرض ... وضحكوا ...

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب يسمى " زاهراً " ببعض طرائف البادية وكان يهاديه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يهاديه . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم السوق يوما فوجد زهيرا واقفا ظهره إليه فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقترب منه الرسول صلى الله عليه وسلم ووضع يده على عينيه

---

(١) رواه أبو داود فى مراسيله عن ابن شهاب الزهرى .

(٢) أورده الزبيدى فى كتابه " اتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٩/٤٩٩ كتاب الشهوتين باب الآفة العاشرة المزاح – عن الحسن بن على رضى الله عنه مـ – إحياء التراث العربى .

- وبذكاء زاهر عرف أنه الرسول صلى الله عليه وسلم . فأخذ يلصق ظهره بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع الرسول صلى الله عليه وسلم يديه عن عينيه وقال له : " ما حملك على ما كنت تفعله ؟ " [1] قال زاهرٌ : أردت البركة حتى يمس جسمى جسمك يا رسول الله !!! فأمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بيده ونادى فى الناس : " من يشترى العبد ؟ " وفى هذا تورية - أى عبد الله أو رقيق - فقال زاهرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم : ستجدنى كاسدا - يعنى لا يشترينى أحد - فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : " لكنك عند الله لست بكاسد " [2] .

وكان هناك صاحب آخر من أهل بدر اسمه " نعيمان " كان يمازحه ويضاحكه ووجد " نعيمان " فى السوق جَرَّة عسل مع أعرابى فاشتراها منه . وأخذه إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال للأعرابى : خذ الثمن من ههنا !! يعنى من صاحب البيت . ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف شيئا عن ذلك الذى حدث . ودخل الرجل بالعسل فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ يقسمها على أصحابه ظنا منه أن " نعيمان " أهداها له ودفع ثمنها . وإذا بالأعرابى يقول : ألا تعطينى ثمن عسلى ؟ فأدرك الرسول صلى الله عليه وسلم ما فعله نعيمان . وقال : " إحدى هنات نعيمان " [3] .

ومرة خرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى تجارة له إلى بصرى فى الشمال ومعه " نعيمان بن عمر الأنصارى " هذا - " وسويبط بن جرملة " وكلاهما

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ١٦١/٣ - وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٧٤/٥ عن زاهر بن حرام الأشجعى - البغوى فى شرح السنة ١٨١/١٣ والترمذى فى الشمائل ٢٣٩ ، وعبد الرازق فى المصنف ٤٥٥/١٠ .

(٢) نفس الحديث السابق ص ٣٠ .

(٣) أورده ابن حجر فى كتابه " الإصابة فى تمييز الصحابة " ٥٧٠/٣ فى ترجمة النعيمان بن عمرو بن زراعة - ونسبت هذه القصة إلى الزبير بن بكار فى كتابه " الفكاهة والمزاح " ط مؤسسة الحلبى للنشر .

بدرى وكان " سويبط " يهيىء لأبى بكر الطعام . فقال له " نعيمان " : أطعمنى . فقال : لا . حتى يأتى أبو بكر . فقال لسويبط : لأغيظنك .. فمروا بقوم فقال لهم "نعيمان " : تشترون منى عبدا ؟ فقالوا : نعم . فقال لهم : إنه عبد كثير الكلام وسيقول لكم : لست بعبد وإنما أنا رجل حر فإذا كنتم ستصدقونه فلا تشتروه من الآن ولا تفسدوا على عبدى . قالوا : بل نشتريه ولا نعبأ بكلامه . فاشتروه منه بعشر نياق شابة قوية . فأخذها وساقها أمامه حتى عقلها . ثم قال لهم : دونكم هو هذا العبد فخذوه . فقالوا له : تعال قد اشتريناك . فأخذ يفهمهم أن صاحبه يمزح وأنا رجل حر . فقالوا له : إنا عرفنا خبرك وحالك منه وطرحوا الحبل فى عنقه وذهبوا به ... فلما جاء أبو بكر أخبره نعيمان فضحك وذهب هو وأصحابه للقوم . وقالوا لهم : إن " نعيمان " كان يمزح وردوا إليهم نياقهم واستردوا منهم " سويبط " !!! ثم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة أخبروه الخبر فضحك حولا كاملا كلما تذكر ذلك – لأنه كان فى السنة الأخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم .

وجاء أعرابى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غاضباً – وأراد أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له الصحابة : لا تفعل فإننا لم نره قبل على هذه الحالة . فقال الأعرابى : دعونى فوالذى بعثه بالحق نبياً لا أدعه حتى يبتسم . فقال : يا رسول الله بلغنا أن الدُّجَّال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا . أفترى لى بأبى أنت وأمى أن أكف عن ثريده ولا آكله تعففاً وتنزهاً حتى أهلك جوعا . أم أضرب فى ثريده حتى إذا تضلعت وملأت بطنى شبعا آمنت بالله وكفرت بالدجال ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه – ضروسه – وقال له : " بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين " [1] .

بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير الأسماء إلى الأحسن . وكان إذا

(١) " أخلاق النبى " د / أحمد الحوفى – ص ٢٩ .

سأل إنسانا عن اسمه وكان اسمه حسنا عرف ذلك فى وجهه صلى الله عليه وسلم . وإذا كان غير ذلك رؤى ذلك فى وجهه [1] . وكان صلى الله عليه وسلم يعتبر تحسين الأسماء دينا يدين به الناس لرب العباد فقد روى أبو داود وأحمد فى مسنده عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم " [2] .

الإخلاص فى العمل :

إن من أهم العوامل التى تسوق الإنسان إلى العمل وتدفعه إلى الإجادة فيه وتغريه بتحمل التعب فيه وبذل الكثير من أجله هى ما يقارن العمل من نية صادقة .

والإخلاص : هو فعل الطاعة أو ترك المعصية ابتغاء وجه الله تعالى .

أى أن العمل إذا قصد به رضوان الله عز وجل ولم يقصد به رياءاً أو ثناءاً من الناس أو شرفا فى الدنيا أو منصبا من المناصب أو جزاء معجلاً أو غير ذلك مما يطمع الناس فيه فهو مخلص .

يقول الله تعالى { ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا } - الإنسان ٨ -٩ - وقيمة العمل فى الإسلام ترجع قبل كل شىء إلى طبيعة الدافع إليه والباعث الذى تمخض عنه فقد يعطى الإنسان عطاءا جزيلا ويريد بذلك أن يستميل القلوب إليه . وقد يعطى العطاء لأنه يريد أن يجزى خيرا من أسْدَوا إليه خيرا وكلا العطائين يسمى كرماً لكن الذى دفع إليه هو شعور المرء بنفسه كما يقول علماء النفس - لكن الإسلام لا يعتد بالصدقة إلا إذا خلصت من شوائب النفس وأصبحت خالصة لله وحده .

---

(١) الطبرانى فى الكبير والأوسط - ومجمع الزوائد ٤٧/٨ ، ٥٢/٨ - وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حيان ص ٥٥١ وكشف الأستار ٤١٦/٢ .

(٢) أبو داود كتاب الأدب / باب فى تغيير الأسماء ٥٨٤/٢ وأحمد فى مسنده ١٩٤/٥ .

يقول الله سبحانه وتعالى { الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى } - الليل ١٨ - ٢١ - ولذلك يعرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تصحيحا لاتجاه القلوب وضمان تجردها من الأهواء فيقول صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه " (١) .

والإخلاص هو روح العمل . فكل عمل يبتغى به صاحبه الرياء ويغشاه الضلال فى القصد وفى المسلك فهو فى سبيل الشيطان .

والعمل الرشيد لا يسد الفراغ ويؤدى دوره فقط بل هو مع ذلك وقبل ذلك هو الذى لا يعطى أحدا فرصة الكسل والتقاعس والعالة بل يشد زناد الحركة والعمل والاهتمام لدى الآخرين وهذا ما يكشفه لنا سرُّ التخصيص فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قاله ردا على قول الصحابة رضوان الله عليهم حين رأوا شابا جلدا قويا وقالوا : " لو كان ذلك فى سبيل الله " . فقال صلى الله عليه وسلم : " إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان " (٢) .

فتحديد الأولاد بالصغار والأبوين بالعجزة الكبار بل وتخصيص الغاية من

---

(١) البخارى فى أول صحيحه ١/١٠ ك بدء الوحى ومسلم ١٣/٥٤ ك الإمارة / قوله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال بالنية .. وأبو داود ك الطلاق / فيما غنى به الطلاق الإنسان والنبات رقم الحديث ٢٢٠١ - والترمذى ك فضائل الجهاد / ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا حديث رقم ١٦٤٦ - وابن ماجه ك الزهد / باب النية رقم ٤٢٢٧ والنسائي ك الطهارة / النية فى الوضوء ١/٥٩ - وأحمد فى مسنده ١/٢٥ - والدارقطنى وابن حبان والبيهقى .

(٢) سبق تخريجه .

السعى على النفس بأن تعف عن المسئلة وتكفى مئونتها . هذا التحديد يشير إلى الحكمة الباهرة العظيمة التى توضح أذكى وأعمق خصائص العمل السديد الرشيد إن كل سعى على الأولاد - وإن كانوا كبارا - عمل مشروع ومقبول وكل سعى على الآباء والأمهات - وإن كانوا صغارا - عمل صالح ومشروع وكل سعى على النفس ولو لطلب المزيد من النعمة والثراء عمل مشروع .

الحكمة من التخصيص فى الحديث :

إن التخصيص السابق فى الحديث هو اللفتة الذكية الثاقبة والنور الذى يشدنا نحو جوهر العمل النافع العظيم .

فالعمل النافع هو الذى يبتغى به الإنسان تحقيق الحياة الآمنة فى رزقها والعمل الذى نقصده ونقصد الإخلاص فيه هو العمل عامة . العمل فى شتى صوره ومجالاته طاعة وعبادة وقربى . فى وظيفة فى تجارة فى زراعة فى مصنع فى الطب فى التدريس فى الهندسة فى كل ما يزاول الناس من عمل وفى كل ما يمارسون من نشاط وكل ما يحترفون من حرفة بشرط أن يكون الإخلاص أساسه . وسرُّ الإخلاص كامن فى الصدور وهو ما لا يطلع عليه إلا عالم الغيب والشهادة . فعلى قدر نقاء السريرة وإتساع النفع يكتب الله مضاعفة الحسنات .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راضى " (١) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " (٢) .

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه / المقدمة ١/٢٧ رقم ٧٠ عن أنس بن مالك رضى الله عنه .
(٢) رواه مسلم فى صحيحه ٤/١٩٨٧ ك البر والصلة والآداب / باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه عن أبى هريرة وأخرجه ابن ماجه فى سننه ٢/١٣٨٨ ك الزهد / باب القناعة عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وهذا مصداق لقول الله تعالى { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } - البينة : ٥ - ولقد كان سحرة فرعون آية فى اليقين الصحيح والإخلاص العالى عندما رفضوا الإغراء وحقروا الإرهاب وداسوا حب المال والجاه وقالوا لفرعون { فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى } - طه : ٧٢ - ٧٣ - .

(٤) الصدق :

إن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض بالحق - وطلب إلى الناس أن تكون حياتهم دائما على الحق فلا يقولوا إلا حقا ولا يعملوا إلا صدقا - وفى أعماق الحياة وما فيها من عمل وكد واجتهاد وتعامل وتعاون نجد أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده ويغلق أبوابه ويعتزل الناس ويقطع ما بينه وبينهم من أسباب . لأن الإنسان مدنى بطبعه يعطى ويأخذ ويطلب ويُعن ويطلب المساعدة إذا احتاج إليها للتغلب على مشكلات العيش ويزيل العقبات التى تعترضه . لذلك إذا حرث احتاج إلى اليد التى تساعده على الحرث والبذر وتعهد النبات بالرعاية حتى حصاده ويتعامل مع البائع والمشترى . وإن تاجر احتاج إلى من يبيعه السلعة ومن يشتريها . وإذا كان صانعا احتاج إلى من يدير له الآلة ومن يستهلك إنتاجه - والمدرس والطبيب والمهندس مع العمال . الجميع يحتاج فى كل تعامله مع نفسه ومع غيره إلى سلوكيات تستقيم أحيانا وقد تنحرف عن الصواب أحيانا . ومن أخلاق الإسلام العالية الرفيعة وسلوكه المستقيم الذى يبعث الثقة فى كل نفس : الصدق وهو دعامة الفضائل كلها وعنوان الرقى ودليل الكمال ومظهر من مظاهر السلوك النظيف . وهو الذى يضمن رد الحقوق ويوطد الثقة بين الأفراد والجماعات ولا يستغنى عنه عالم ولا حاكم ولا قاض ولا تاجر

ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير ما داموا جميعا يعيشون فى مجتمع ويتعاملون مع الآخرين . والصدق من صفات الله عز وجل يقول الله سبحانه وتعالى : { ومن أصدق من الله حديثا } { قل صدق الله } { إن الله لا يخلف الميعاد } { ومن أوفى بعهده من الله } - التوبة ١١١ - والصدق خلق يوجب الاحترام والحب والتقدير والفوز والنجاة { والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون } الزمر ٣٣ - { هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم } - المائدة : ١١٩ - { واجعل لى لسان صدق فى الآخرين } الشعراء : ٨٤ .

وحيرة البشر وشقوتهم إنما ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح وإلى تسلط أكاذيب وأوهام على أنفسهم وأفكارهم مما أبعدهم عن الصراط المستقيم ولذلك فالإسلام يدعو إلى التمسك بالحق والصدق فى كل شأن وأن يتحرى الصدق فى كل قضية وفى كل حكم . لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " (١) ويقول صلى الله عليه وسلم : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة " (٢) .

ويضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة فى القول والعمل ليكون المسلم صورة مشرقة وضاءة عطرة من الخلق والمعاملة الحسنة والسماحة يبذل المال فى مصارفه المشروعة وسماحة القول بالابتعاد عن الإسفاف والتجريح والطعن فى أعراض الخلق . وسماحة اللقاء لإخوانه ببشاشة الوجه وحلو الحديث يقول صلى

(١) أخرجه البخارى ٥/٣٧٥ ك الوصايا / باب قوله تعالى { من بعد وصية يوصى بها أودين } - ومسلم ٤/١٩٨٥ ك البر / باب تحريم الظن والتجسس والتنافس عن أبى هريرة - والترمذى ٤/٣٥٦ ك البر / ما جاء فى سوء الظن عن أبى هريرة . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ك صفة القيامة / باب رقم ٦٠ عن الحسن بن على رضى الله عنهما . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

الله عليه وسلم : " رحم الله امرءا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى " (١) .

وليس عجبا أن الإسلام الذى يقرر الإيمان بالله سبحانه وتعالى على أساس من الصدق والإخلاص والحرية فى الإعتقاد . يقرر على ضوء هذا الأساس : أن الإيمان مرفوض من أساسه إذا ما صدر عن إكراه وبغير إرادة واختيار ليكون الإنسان أهلا للمسئولية والجزاء ومن هنا رُدَّ إيمان فرعون عليه حينما أدركه الغرق {قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين } - يونس : ٩٠ - فلم يقبل منه ذلك الإيمان المكره وكان عبرة ومثلا للآخرين . وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى { الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون } - يونس٩١ - ٩٢ - .

المسلم لا يكون كذابا :

الإسلام يحترم الحق إحتراما شديدا ولشدة احترامه له . طارد الكذابين وشدد عليهم بالنكير ولذلك تروى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تقول : ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة فما يزال فى نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيكون المسلم جبانا " قال : " نعم " !! قيل له : أيكون المسلم بخيلاً ؟ قال : " نعم " قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : " لا " ... (٢) لذلك يوصى الإسلام بغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم كلها .

(١) البخارى فى صحيحه ٣٠٦/٤ - ٣٠٧ ك البيوع / باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع عن جابر بن عبد الله - وأخرجه ابن ماجه فى سننه ٧٤٢/٢ كتاب التجارات / باب السماحة فى البيع عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ ٩٩٠/٢ ك الكلام / باب ما جاء فى الصدق والكذب عن صفوان بن سليم ط . عيسى الحلبى . وقال الشيخ / محمد فؤاد عبد الباقى تعليقا على الحديث : هذا حديث مرسل حسن .

مثال :

يروى عبد الله بن عامر رضوان الله عليه فيقول : دعتنى أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى بيتنا فقالت : تعال أعطك . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أردت أن تعطيه ؟ " قالت : أردت أن أعطيه تمرا . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة " !!![1]

الصدق ينجى صاحبه :

مثال : فى عزوة تبوك - وهى غزوة العسرة - تخلف الكثير عنها وأكثرهم من أهل النفاق لكن كان هناك ثلاثة من المتخلفين لم يكونوا أقل إيمانا من إخوانهم لكن ضعفت عزائمهم وهؤلاء الثلاثة هم : كعب بن مالك ، هلال بن أمية ومرارة بن الربيع . وكان وقت الغزوة صيفاً وحاراً شديد الحرارة ومجاعة ومسافات بعيدة إلى حدود الشام عند الروم . وحينما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزوة منتصرا ظافرا بفضل الله عليه جاء المعذرون من الأعراب ومن أهل النفاق يعتذرون ويقدمون أعذارا واهية كاذبة ويتركهم رسول الله يسيرون لحالهم ويترك بواطن أمورهم لله رب العالمين يعذبهم بها يوم القيامة .

لكن هؤلاء الثلاثة المؤمنون كان باستطاعتهم أن يقدموا الأعذار ليحفظوا ماء وجوههم . وكان كعب بن مالك من أفصح العرب وأكثرهم حجة وأطولهم باعاً فى الفصاحة وكان بإمكانه أن ينمق الأعذار . لكن صدقه وفكره وإيمانه هداه فقال : إن

---

(١) رواه أبو داود فى سننه ٥٩٤/٢ ك الأدب / باب فى التشديد فى الكذب عن عبد الله بن عامر رضى الله عنه . وأورده المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب ٥٩٨/٣ ك الأدب / باب ويل للذى يتحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب عن عبد الله بن عامر رضى الله عنه .

كذبت الآن نجوت فى الدنيا ولكن هل أنجو يوم القيامة ؟ ثم تكلم وقال : يا رسول الله . والله ما كنت ساعتها أكثر إستعدادا ومالا ووفرة من ذلك اليوم ولكنى تكاسلت واعترف بخطئى وخطيئتى !!!

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة بمقاطعتهم وترك أمرهم لله سبحانه وتعالى وظل الثلاثة خمسين يوما لا يكلمهم أحد - مقاطعة تامة - حتى أن كعب بن مالك أخذ أهل زوجته زوجته منه وذهبوا بها إلى بيت أبيها وكان كعب بن مالك يجلس بجوار جدار بستان ويمر عليه إخوانه فلا يسلمون عليه - ويسلم هو عليهم فلا يردون عليه ! إمتحان صعب . لأن للصدق ضريبة وله تكلفة ولابد أن يتحمل الإنسان . فماذا فعل الله بهم ؟

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى توبته عليهم . فى قرآن يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - تاب الله عليهم قبل أن يتوبوا يقول الله سبحانه وتعالى { وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم } - التوبة/١١٨ - ولهذا يقول حكمة - يجب أن يحفظها كل مسلم : إياك والتبرير بعد التقصير فما أنجى كعب بن مالك إلا الصدق !!! " والحديث مطولا فى مستد الإمام أحمد " ونجاح الأمم فى أداء رسالتها يعود إلى ما يقدمه أبناؤها من أعمال صادقة فإن كانت ثروتها من الصدق فى العمل والقول والمدخل والمخرج كبيرة كانت سابقة لغيرها سبقاً بعيداً وإلا سقطت فى عرض الطريق { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما } - الأحزاب ٧٠ - ٧١ - ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل

يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار . وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[1] .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف الإنسانية كلها أن الإيمان متعدد الشعب . وافر الأغصان القوية المثمرة فى شجرة الإيمان ولأن الذى اختاره الله سبحانه وتعالى مبعثاً للنور من الظلمات كان عظيما منذ خلقه فقد خلق الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم عظيما قبل أن يوحى إليه وقبل أن يكون رسولا . فقد نفر منذ صباه عن عبادة الأوثان وكان منذ صباه الصادق الوفى المحبوب المبجل فى قومه فسماه قومه " الأمين " . وكان فضله ظاهرا منذ شبابه فدعته العظيمة الشامخة العفيفة صاحبة الثروة الواسعة فى قريش ومن أعلاها نسبا إلى التزوج بها مع علمها بفقره . وكان عظيما صلى الله عليه وسلم حين وقف على الصفا أول مرة يدعو عشيرته إلى دينه . وكان صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة أشد الناس نفورا من الظلم وهضم حقوق الضعفاء . وأكبر دليل على ذلك حين تحمس لأشرف حلف فى العرب قبل بعثته وهو " حلف الفضول " الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم " لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن يكون لى به حمر النعم ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت " وكان صلى الله عليه وسلم كامل الخلق والمروءة وعاش ولم يكن للبيئة سلطان على نفسه بل كان طلب الحق والثبات عليه أوضح صفاته الحميدة .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٠ / ٥٠٧ ك الأدب / باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) عن عبد الله بن مسعود وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢٠١٣/٤ ك البر / باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله عن عبد الله بن مسعود وأخرجه الترمذى ٣٤٧/٤ ك البر / باب ما جاء فى الصدق والكذب . عن عبد الله بن مسعود . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

فلا غرو أن يعرف البشرية كلها أول المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم فيقول فى الحديث الذى رواه الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة وأفضلها قول : لا إله إلا الله وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان " (١) .

فالإسلام جعل كل خلقٍ كريم من الإيمان **فبر الوالدين** : وهو الوفاء بحقهما من الإيمان . وقد قرنه الله سبحانه وتعالى بعبادته وقرن شكرهما بشكره فقال سبحانه : { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } - الإسراء : ٢٣ - { .. أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير } - لقمان من الآية ١٤ - .

وصلة الرحم من الإيمان فيقول الله سبحانه وتعالى { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى ... } - النساء من الآية ٣٦ - .

ويقول صلى الله عليه وسلم " الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان : صدقة وصلة " (٢) ورعاية اليتيم وهو من فقد الأب ولم يتم البلوغ من الإيمان {فأما اليتيم فلا تقهر } - الضحى : ٩ - ويقول صلى الله عليه وسلم " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا " وأشار بأصبعيه : السبابة والوسطى وفَرَّج بينهما (٣) .

وحُسْن الجوار بأنواعه من الإيمان : جوار الجار القريب - أى من ذوى

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٠ / ٥٢١ كتاب الأدب / باب الحياء عن عبد الله بن عمر - وأخرجه أحمد فى مسنده ٥٦/٢ ، ١٤٧ عن عبد الله بن عمر وأخرجه مالك فى الموطأ ٩٠٥/٢ كتاب حسن الخلق باب ما جاء فى الجار عن عبد الله بن عمر .

(٢) أخرجه الترمذى ٣٧/٣ - ٣٨ ك الزكاة / ما جاء فى الصدقة على ذى القرابة - وابن ماجه ٥٩١/١ ك الزكاة / فضل الصدقة عن سليمان بن عامر الضبى - وأحمد فى مسنده ٢١٤/٤ عن سلمان بن عامر الضبى .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ك الأدب / باب فضل من يعول يتيما ٤٥٠/١٠ عن سهل بن سعد وأخرجه مسلم فى صحيحه ك الزهد / باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ١١٢/٨ عن أبى هريرة ورواه أيضا أبو داود والترمذى وأحمد فى مسنده وغيرهم .

القربى – والجار الملاصق لك سكنا والجار لك المصاحب فى الطريق { واعبدى الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا } – النساء : ٣٦ – . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (١) . والإصلاح بين الناس من الإيمان – لأن ذلك يذهب الشحناء ويصبح به المسلمون إخوة ويبعد التباغض والتدابر يقول الله سبحانه { فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم } – الأنفال من الآية الأولى – ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" قالوا : قد علمنا كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : " أن تكفه عن الظلم فإن ذلك نصره " (٢) .

والأخوة في الله من الإيمان : ولقد آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فكان الحب والإيثار والرغبة والاختيار وأثنى الله سبحانه وتعالى على الأنصار الذين فعلوا ذلك بكل الحب والطاعة والامتثال والتضحية فقال سبحانه { والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون } – الحشر : ٩ – { الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين } الزخرف : ٦٧ – والخلة هى الحب الصادق الذى يتخلل قلب المحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء

---

(١) أخرجه البخارى ٤٤١/١٠ ك الأدب / الوصاة بالجار عن عائشة – وأخرجه مسلم ٢٠٢٥/٤ ك البر / الوصية بالجار عن عائشة . والترمذى ٣٣٢/٤ – ٣٣٣ ك البر / ما جاء فى حق الجار . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى .

يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله " .. قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : " هم قوم تحابوا بروح الله من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فو الله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس " وقرأ { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون }

والنظافة من الإيمان : وهى خلق يتخلق به المسلم منذ صغره يتعود عليها حتى تصبح خلقا وليست عادة . فكما تكون فى الملابس والأجساد والأماكن تكون أيضا وهو الأهم فى السلوك والأخلاق { وثيابك فطهر } - المدثر : ٤ - ويقول صلى الله عليه وسلم : " لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء وبالوضوء عند كل صلاة " (١) .

والحياء من الإيمان : وهو انقباض النفس عن كل قبيح ويمنع صاحبه عن فعل شىء يلام عليه وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ... وفيه " والحياء شعبة من الإيمان " (٢) .

ويقول صلى الله عليه وسلم " الحياء خير كله " (٣) - ولقد مر صلى الله عليه وسلم على رجل من الأنصار وهو يعاتب أخا له على شدة حيائه فقال صلى الله عليه وسلم له : " دعه فإن الحياء من الإيمان . من لا حياء له لا خير فيه " (٤) .

والتواضع من الإيمان : وهو أن يضع الإنسان نفسه حيث يجب أن توضع دون تكبر أو استعلاء أو تفاخر دون ذلة أو هوان .

---

(١) أخرجه مسلم ١/٢٢٠ ك الطهارة / باب السواك عن أبى هريرة - وأبو داود ١/٣٤ ك الطهارة/ باب ما جاء فى السواء عن أبى هريرة وابن ماجه فى سننه ١/١٠٥ ك الطهارة / باب السواك عن أبى هريرة .

(٢) سبق تخريجه .

(٣ ، ٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٠ / ٥٢١ كتاب الأدب باب الحياء عن عبد الله بن عمر - وأخرجه أحمد فى مسنده ٢/٥٦ ، ١٤٧ عن عبد الله بن عمر - وأخرجه مالك فى الموطأ ٢/٩٠٥ كتاب حسن الخلق / باب ما جاء فى الجار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

يقول الله سبحانه { واخفض جناحك للمؤمنين } الحجر : ٨٨ - والتواضع زينة العلماء والكبراء ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تواضع لله درجة رفعه الله درجة " .

وتقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها " [١] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مهنة أهله - أى يساعد زوجاته - وكان يخصف نعله ويرفع ثوبه ويعلف فرسه " وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما ازداد عبد بتواضع إلا رفعه " [٢] .

والعفة من الإيمان : وهى خلق من أخلاق الأنبياء والصالحين . وهى درجات كثيرة فالتعفف عن الحرام - من التقوى - والتعفف عن الشبهات - من الورع - والتعفف عن الكثرة من الحلال - من الزهد - وقد أمر الله الأغنياء ألا يأخذوا شيئاً من مال اليتيم مقابل الوصاية عليه ورعاية ماله وبالأكل بالمعروف إن كان فقيرا محتاجا فقال سبحانه : { ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف } - النساء من الآية ٦ - وأثنى الله على الفقير الذى يتعفف عن السؤال رغم شدة حاجته فقال سبحانه : { للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضَرْبًا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا } - البقرة من الآية ٢٧٣ - .

والأمانة من الإيمان وهى ضد الخيانة . والأمانة من صفات رسل الله أجمعين وهى أنواع كثيرة منها : أمانة الكلمة وأمانة النقل وأمانة العلم وأمانة الدعوة إلى الله وأمانة التعامل بين الناس فى كل مجالات الحياة فى تجارة أو زراعة أو

(١ ، ٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢٠٠١/٤ كتاب البر باب استحباب العفو والتواضع عن أبى هريرة . وأخرجه الترمذى / ٤٧٦٤ كتاب البر / باب فى التواضع عن أبى هريرة . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

صناعة أو غيرها وقد سمى الله سبحانه أمين الوحى جبريل " أمينا " فقال سبحانه { نزل به الروح الأمين } - الشعراء : ١٩٣ - ويقول سبحانه وتعالى عن رسله جميعا أنهم أمناء على الرسالة يبلغونها كما أنزلت إليهم { إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون أنى لكم رسول أمين } الشعراء : ١٠٦ - ١٠٧ - { إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إنى لكم رسول أمين } - الشعراء - ١٤٢ - ١٤٣ - ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مخوفا ومحذراً من أن الأمانة سوف ترفع قبل قيام الساعة فيقول صلى الله عليه وسلم : " ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوَكْت - العلامة البسيطة - ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المَجْل - أثر الحرق البسيط - كجمر دحرجته على رجلك فنفط - ارتفع الجلد من أثر الحريق - فتراه منتبزاً - منتفخاً - وليس فيه شيء " - ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله - فيصبح الناس يتابعون فلا تكاد تؤدى الأمانة حتى يقال : إن فى بنى فلان رجلا أمينا .. وحتى يقال للرجل : ما أجلده . ما أظرفه . ما أعقله . وليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان " [1] .

والحلم والكرم والوفاء والعفو والصفح والنصيحة لله ورسوله والعدل في كل شيء والصبر بأنواعه علي الطاعة وعلي المصيبة وعن المعصية . كل ذلك من الإيمان . فمن التزم بذلك كله فى أعماله وتصرفاته فإنه يكون قد تخلق بخلق الإسلام واتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة والمثل وهى صفات جعلها الله سبحانه وتعالى وصفا للمعانى الإلهية والإنسانية الفائقة التى كانت تعمر قلب وعقل بطل الأبطال وخاتم النبيين محمد صلى

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٣٣/١١ ك القراق / باب رفع الأمانة عن حذفة رضى الله عنه - وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٢٦/١ / ١٢٧ ك الإيمان / باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب عن حذيفة - والترمذى فى سننه ٤٧٤/٤ ك الفتن / ما جاء فى رفع الأمانة عن حذيفة رضى الله عنه وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

الله عليه وسلم وكانت ملأك روحه وقوام فكره وخلقه . وهى سرُّ الله فى الإنسان الكامل المكمل صلى الله عليه وسلم الذى جعله الله قمة هذا النوع الإنسانى والقدوة والأسوة وصدق الله سبحانه حين يقول { وإنك لعلى خلق عظيم } - القلم : ٤ - { لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } الأحزاب : ١٢١ - وحين سئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت للسائل : " ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قال : فإن خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن " (١) .

فما من خير جاء فى القرآن أو بر أو فضل أو مكرمة إلا والنبى صلى الله عليه وسلم قد تخلق بذلك وظهر به واصطبغت نفسه بحقيقته . وما من شر أو مرذول من السلوك والعمل حَذَّر القرآن منه ونهى عنه إلا ابتعد النبى صلى الله عليه وسلم عنه وكان أبعد ما يكون عن اقترافه أو القرب منه .

كان خلقه القرآن . كان مع القرآن فى وصفه للكون - كان مع رب الكون وهو يبدى مظاهر قدرته وحكمته فى العالم الذى نعيش فيه . كان خلقه القرآن . كان مع القرآن فى سرده قصص الأولين . فهو صلى الله عليه وسلم قرآن يتحرك . فى حياته على ظهر الأرض وبين آفاقها وأرجائها وتحت السماء الرحبة ومع تاريخ الحياة والأحياء على امتداده الطويل . صلى الله عليه وسلم .

{ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم } - الأنعام : ١١٥ - { لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين } - آل عمران : ١٦٤ - وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٣٦٤/١ باب صفة أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضى الله عنها ط بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

مراجع البحث

١ – القرآن الكريم .

٢ – الإصابة فى تمييز الصحابة – للإمام ابن حجر العسقلانى .

٣ – البداية والنهاية لابن كثير .

٤ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

٥ – تمييز الطيب من الخبيث – لابن الربيع الشيبانى .

٦ – سنن ابن ماجه – بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

٧ – سنن الترمذى .

٨ – سنن الدارمى .

٩ – شرح صحيح البخارى " إرشاد السارى " للإمام القسطلانى .

١٠ – صحيح البخارى .

١١ – صحيح مسلم .

١٢ – فيض القدير – شرح الجامع الصغير – للمناوى .

١٣ – قبس من الحديث النبوى – أ . د / أحمد عمر هاشم .

١٤ – كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال – لعلاء الدين الهندى .

١٥ – المستدرك – للحاكم – والمسند للإمام أحمد بن حنبل .

١٦ – مشكاة المصابيح – للخطيب – بتحقيق الشيخ الألبانى .

١٧ – المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع – تحقيق المرحوم الشيخ أبو غدة .

١٨ – من هدى السنة . أ . د / أحمد عمر هاشم .

١٩ – المنهل الحديث أ . د / موسى شاهين .

وغيرها من المراجع التى وقعت تحت يدى أثناء إعداد هذا البحث .

والحمد لله رب العالمين .